٣٨٦–عن عمر . قال (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ بِالأَمْسِ يَقُولُ «هَذَا مَصْرَعُ فُلاَنٍ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ». قَالَ فَقَالَ عُمَرُ فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا أَخْطَئُوا الْحُدُودَ الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ – قَالَ – فَجُعِلُوا فِي بِئْرٍ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ فَقَالَ «يَا فُلاَنَ بْنَ فُلاَنٍ وَيَا فُلاَنَ بْنَ فُلاَنٍ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِيَ اللَّهُ حَقًّا». قَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تُكَلِّمُ أَجْسَادًا لاَ أَرْوَاحَ فِيهَا قَالَ « مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَىَّ شَيْئًا) .

٣٨٧–وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَرَكَ قَتْلَى بَدْرٍ ثَلاَثًا ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَنَادَاهُمْ فَقَالَ « يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا ». فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَسْمَعُوا وَأَنَّى يُجِيبُوا وَقَدْ جَيَّفُوا قَالَ « وَالَّذِي نَفْسِى بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا ». ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا فَأُلْقُوا فِى قَلِيبِ بَدْرٍ) .

==========

(**عن عمر . قال : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ**) أي : مواضع قتلهم .

(**بِالأَمْسِ**) يعني: اليوم الذي قبل يوم قتلهم.

(**فَقَالَ عُمَرُ فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا أَخْطَئُوا الْحُدُودَ الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ**) أي: المواضع المحدّدة، الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ أنها مصرعهم .

(**قَالَ : فَجُعِلُوا فِي بِئْرٍ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ**) وفي رواية (ثم أَمَرَ بهم، فسُحِبُوا، فأُلْقُوا في قليب بدر) ، وفي رواية بعدها:

(فَأُلْقُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ) والطويّ: هي البئر .

(**فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ**) في البئر .

(**هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا**) من الذل والهوان والعذاب الأليم .

(**فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِيَ اللَّهُ حَقًّا**) **من النصر والعز والتمكين في الأرض** .

(**قَالَ : مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ**) أي: لستم أنتم بأكثر منهم سماعًا لما أقول؛ يعني: أنهم يسمعون كسماعكم .

(**غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَىَّ شَيْئًا**) أي: لكنهم لا يستطيعون الإجابة، كاستطاعتكم

(**فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَسْمَعُوا وَأَنَّى يُجِيبُوا وَقَدْ جَيَّفُوا**) أَيْ : أَنْتَنُوا وَصَارُوا جِيَفًا ، يُقَال : جَيَّفَ الْمَيِّت وَجَافَ وَأَجَافَ وَأَرْوَحَ وَأَنْتَنَ بِمَعْنًى . (نووي)

وقال ابن الأثير: "قد جيّفوا"؛ أي: أنتنوا، يقال: جافت الميتة، وَحيَّفت، واجتافت، والجيفة جُثّة الميت إذا أنتن.

١–دل هذا الحديث على أن أهل القليب قد سمعوا قول النبي ﷺ لهم ،كما هو صريح هذه الأحاديث وغيرها .

وإلى هذا ذهب جماهير العلماء .

وثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما قال (اطَّلع النبي ﷺ على أهل القَلِيب فقال: (وجدتم ما وعد ربكم حقًّا) فقيل له: تدعوا أمواتًا؟ فقال: (ما أنتم بأسمع منهم، ولكن لا يجيبون) رواه البخاري.

وفي رواية: قال النبي ﷺ (إنهم الآن يسمعون ما أقول) فذكر لعائشة، فقالت: إنما قال النبي ﷺ (إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق)، ثم قرأَتْ (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى) حتى قرأَتْ الآية.

وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها، أنه ذُكر عندها: أن ابن عمر رفع إلى النبي ﷺ (إن الميت ليعذب في قبره ببكاء أهله عليه) فقالت: وَهَلَ ابن عمر رحمه الله، إنما قال رسول الله ﷺ (إنه ليعذب بخطيئته وذنبه، وإن أهله ليبكون عليه الآن) قالت: وذاك مثل قوله: إن رسول الله ﷺ قام على القليب، وفيه قتلى بدر من المشركين، فقال لهم مثل ما قال: (إنهم ليسمعون ما أقول) إنما قال: (إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق) ثم قرأت (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى) (وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القبور) .

قال ابن حجر: وهذا مصير من عائشة إلى رد رواية ابن عمر المذكورة .

واعتراض عائشة هذا وتخطئتها لابن عمر ، فقد قال عنه أهل العلم: إن ذلك وَهْم منها رضي الله عنها .

لأن ابن عمر رضي الله عنهما لم ينفرد بذلك، بل وافقه عليه غيره من الصحابة، كعمرَ وأبي طلحة رضي الله عنهما، وهما ممن شهد بدرًا.

قال ابن تيمية : وأهل العلم بالحديث والسنة اتفقوا على صحة ما رواه أنس وابن عمر، وإن كانا لم يشهدا بدرًا، فإن أنسًا روى ذلك عن أبي طلحة، وأبو طلحة شهد بدرًا ... والنص الصحيح عن النبي ﷺ مقدم على تأويل من تأول من أصحابه .

وقال ابن كثير: والصحيح عند العلماء رواية عبد الله بن عمر، لما لها من الشواهد على صحتها من وجوه كثيرة .

وقال ابن حجر: وقد خالفها الجمهور في ذلك، وقبلوا حديث ابن عمر، لموافقة من رواه غيره عليه"، وبتأمل رواية عائشة رضي الله عنها نجد أنها قد اعترضت بأمرين:

أحدهما: أنها قالت: إنما قال النبي ﷺ (إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق)، والجواب عنه: أنه إن كانت قد سمعت هذا من النبي ﷺ بهذا اللفظ، فإنه لا يعارض رواية ابن عمر وغيره، لأن العلم لا ينافي السماع، ومن جاز عليه العلم جاز عليه السماع.

وأما اعتراضها الثاني: فهو احتجاجها بالآية، وهي قوله تعالى (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى) وقد تقدم الجواب عنها، بأن الجمع ممكن، وذلك بتخصيص الآية بحديث القليب وغيره مما ورد، وعلى هذا فلا تعارض بين الآية والحديث.

قال الإسماعيلي : كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية، والغوص على غوامض العلم ما لا مزيد عليه، لكن لا سبيل إلى رد رواية الثقة إلا بنص مثله، يدل على نسخه أو تخصيصه أو استحالته، فكيف والجمع بين الذي أنكرته وأثبته غيرها ممكن .

٢-اختلف العلماء – رحمهم الله – في سماع الموتى لكلام الأحياء على أقوال :

القول الأول : نفي سماعهم مطلقاً .

وهذا ذهب إليه قتادة، والقاضي أبو يعلى، والمازري، وابن عطية، وابن الجوزي، وأبو عبدالله القرطبي، والشوكاني، والآلوسي، والألباني.

لقوله تعالى (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ) .

ولقوله تعالى (وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ) .

القول الثاني : إثبات سماع الموتى .

وهذا اختيار جمع من المحققين، كابن حزم، والقاضي عياض، والنووي، وابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير.

أ-حديث الباب ، حيث خاطب ﷺ أصحاب القليب .

ب- وعن أَنَس – وقد تقدم – (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ) .

وهذا الحديث فيه تصريح من النبي ﷺ بأنَّ الميت في قبره يسمع قرع نعال من دفنوه إذا رجعوا، وهو نص صحيح صريح في سماع الموتى، وظاهره العموم في كل من دُفِن .

ج- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى الْمَقْبُرَةَ فَقَالَ (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ). رواه مسلم

وجه الدلالة: هذا الحديث فيه مخاطبة النبي ﷺ لأهل القبور بقوله (السلام عليكم) وهذا يدل دلالة واضحة على أنهم يسمعون سلامه، لأنهم لو كانوا لا يسمعون سلامه وكلامه لكان خطابه لهم من جنس خطاب المعدوم، ولا شك في أن ذلك ليس من شأن العقلاء.

قال ابن تيمية: فهذا خطاب لهم، وإنما يخاطب من يسمع .

وقال الشنقيطي: وخطابه ﷺ لأهل القبور بقوله: (السلام عليكم) وقوله: (وإنا إن شاء الله بكم) ونحو ذلك يدل دلالة واضحة على أنهم يسمعون سلامه، لأنهم لو كانوا لا يسمعون سلامه وكلامه لكان خطابه لهم من جنس خطاب المعدوم .

د-عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله ﷺ (ما من رجل يمر على قبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه، إلا عرفه ورد عليه السلام

رواه ابن حبان في المجروحين وهو ضعيف.

هـ- عن أبي هريرة. أن رسول الله ﷺ قال (ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام. رواه

أجاب أصحاب القول عن حديث الباب (حديث القليب) .

أنَّ ما وقع للنبي ﷺ من إسماع قتلى بدر – هو معجزة من معجزاته ﷺ فقد أحياهم الله له حتى سمعوا كلامه، وهذا خاص به دون غيره من الناس.

بدليل : أنَّ الحديث رُوي بلفظ (وَاللَّهِ إِنَّهُمْ الْآنَ لَيَسْمَعُونَ كَلَامِي) حيث قَيَّدَ النبي ﷺ سماعهم له باللحظة التي ناجاهم فيها، ومفهومه أنهم لا يسمعون في غير هذا الوقت، وفيه تنبيه على أنَّ الأصل في الموتى أنهم لا يسمعون، ولكن أهل القليب في ذلك الوقت قد سمعوا نداء النبي ﷺ وبإسماع الله تعالى إياهم، خرقاً للعادة، ومعجزة للنبي ﷺ .

قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله، توبيخًا وتصغيرًا ونقمةً وحسرةً وندمًا .

وقال ابن بطال: وعلى تأويل قتادة فقهاء الأئمة وجماعة أهل السنة، وعلى ذلك تأوَّله عبد الله بن عمر راوي الحديث عن النبي عليه السلام.

وقال المازري تعليقًا على حديث القليب: "ذهب بعض الناس إلى أن الميت يسمع، أخذًا بظاهر هذا الحديث، والذي عليه المحصلون من العلماء: أن الله تعالى خرق العادة بأن أعاد الحياة إلى هؤلاء الموتى ليقرعهم ﷺ، وإلى هذا ذهب قتادة .

وقال ابن عطية : فيشبه أنَّ قصة بدر هي خرق عادة لمحمد ﷺ، في أنْ رد الله إليهم إدراكاً سمعوا به مقاله، ولولا إخبار رسول الله ﷺ بسماعهم لحملنا نداءه إياهم على معنى التوبيخ لمن بقي من الكفرة، وعلى معنى شفاء صدور المؤمنين منهم .

وأجابوا عن حديث (إنه ليسمع قرع نعالهم) .

قالوا : هذا محمول على أنه في أول الوضع، أي أن هذا السماع خاص بهذا الوقت، وبقية الحديث يشعر بهذا، فإن روحه تعاد حينئذ استعدادًا لسؤال الملكين.

قال المُنَاوِي عند هذا الحديث: وعورض بقوله تعالى (وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ) وأُجيب: بأن السماع في حديثنا مخصوص بأول الوضع في القبر مقدمة للسؤال .

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: إنه وارد في وقت خاص، وهو انصراف المشيعين بعد الدفن .

وأجابوا عن حديث : السلام على أهل المقابر .

«أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين جمعا ودراسة» (ص٧١٠):

قال القاضي عياض تعليقًا على الحديث السابق في سلام النبي ﷺ على أهل المقابر: يحتمل أن يُحيوا له حتى يسمعوا كلامه، كما سمعه أهل القليب، ويحتمل أن يفعل ذلك مع موتهم ليبين ذلك لأمته .

وقال ابن عطية: هذا كله غير معارض للآية، لأن السلام على القبور إنما هو عبادة، وعند الله الثواب عليها، وهو تذكير للنفس بحالة الموت، وبحالة الموتى في حياتهم .

والراجح عدم السماع .

قال الشوكاني : وظاهر نفي إسماع الموتى العموم، فلا يخص منه إلا ما ورد بدليل ، ثم مثّل بحديث القليب، وحديث سماع خفق النعال.

وقال الألباني: "اعلم أن كون الموتى يسمعون أو لا يسمعون، إنما هو أمر غيبي من أمور البرزخ التي لا يعلمها إلا الله عز وجل، فلا يجوز الخوض فيه بالأقيسة والآراء، وإنما يوقف فيه مع النص إثباتًا ونفيًا".»

٣-استدل بعض العلماء بحديث الباب على نفي السماع وذلك من وجهين :

أ-ما جاء في رواية من تقييده ﷺ سماع موتى القَليب بقوله (الآن) فإن مَفهومه أنهم لا يَسمعون في غير هذا الوقت وهو المطلوب وهذه الفائدة نبَّه عليها العلَّامة الألوسي في كتابه "روح المعاني" ففيه تنبيه قوي على أن الأصل في الموتى أنهم لا يسمعون .

ب- أن النبي ﷺ أقرَّ عمر وغيره من الصَّحابة على ما كان مُستقرًّا في نفوسهم واعتقادهم أن الموتى لا يسمعون، فقد قالوا للنبي ﷺ ما تكلِّم من أجساد لا أرواح فيها؟ .

وجاء في "مسند الإمام أحمد" عن أنس ﷺ قال (فسمع عمر صوته فقال: يا رسول الله، أتناديهم بعد ثلاث؟ وهل يسمعون؟ يقول الله عز وجل: (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى) فقال: والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا).

ومن هذا يتضح أن النبي ﷺ أقر الصَّحابة – وفي مُقدِّمتهم عمر – على فَهمهم للآية على ذلك الوجه العامِّ الشامل لموتى القَليب وغيرهم؛ لأنه لم يُنكره عليهم، ولا قال لهم: "أخطأتم" فالآية لا تنفي مُطلقًا سماع الموتى، بل إنه أقرَّهم على ذلك، ولكن بيَّن لهم ما كان خافيًا عليهم في شأن القليب، وأنهم سمعوا كلامه حقًّا، وأنَّ ذلك أمرٌ خاصٌّ مُستثنى من الآية مُعجزة له ﷺ.

٤-قال النووي: قَالَ أَصْحَابنَا: وَهَذَا السَّحْب إِلَى الْقَلِيب لَيْسَ دَفْنًا لَهُمْ، وَلَا صِيَانَة وَحُرْمَة، بَلْ لِدَفْعِ رَائِحَتهمْ الْمُؤْذِيَة. وَاَللَّه أَعْلَم.

قال ابن الملقن رحمه الله تعالى : فإن قلت: فما معنى إلقائهم في القليب؟ قلت: لأن من سنته في مغازيه إذا مر بجيفة إنسان أمر بدفنه ولا يسأل عنه، كما أخرجه الدارقطني، فإلقاؤهم من هذا الباب، غير أنه كره أن يشق على أصحابه كثرة الجيف، فكان جرهم إلى القليب أيسر عليهم، ووافق أن البئر حفره رجل من بني النار كما سيأتي، فكان مناسبا لهم . (التوضيح)

ثم إنه، ﷺ لم ينتقم منهم، كعادة أخلاق أهل الجاهلية بالتمثيل والتقطيع ونحو هذا، بل تركوا جثة أمية بن خلف في مكانها بسبب أنها كانت تتقطع عند رفعها، وغطوها بالتراب .

فمن محاسن الإسلام أنه أرشد إلى دفن الكافر رغم عداوته إذا لم يوجد من أهل ملته من يقوم بدفنه.

ومن الأحاديث المرشدة إلى هذا :

حديث عَلِيٍّ ﷺ، قَالَ:" قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ عَمَّكَ الشَّيْخَ الضَّالَّ مَاتَ فَمَنْ يُوَارِيهِ؟ قَالَ: (اذْهَبْ فَوَارِ أَبَاكَ) . رواه النسائي

جاء في (**الموسوعة الفقهية**) لا خلاف بين الفقهاء في أنه لا يجوز للمسلم أن يدفن كافراً ولو قريباً إلا لضرورة، بأن لا يجد من يواريه غيره، فيواريه وجوباً؛ لأنه ﷺ لما أخبر بموت أبي طالب قال لعلي ﷺ: (اذهب فواره)، وكذلك قتلى بدر ألقوا في القليب، أو لأنه يتضرر بتركه ويتغير ببقائه." انتهى.

٣٨٨-عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ (أَلاَ إِنَّ رَبِّى أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلاَلٌ وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلاَّ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَقَالَ إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِىَ بِكَ وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لاَ يَغْسِلُهُ الْمَاءُ تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا فَقُلْتُ رَبِّ إِذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً قَالَ اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ. قَالَ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلاَثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ - قَالَ - وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ الضَّعِيفُ الَّذِى لاَ زَبْرَ لَهُ الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لاَ يَتْبَعُونَ أَهْلاً وَلاَ مَالاً وَالْخَائِنُ الَّذِى لاَ يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلاَّ خَانَهُ وَرَجُلٌ لاَ يُصْبِحُ وَلاَ يُمْسِى إِلاَّ وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ ». وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوِ الْكَذِبَ « وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ ». وَلَمْ يَذْكُرْ أَبُو غَسَّانَ فِي حَدِيثِهِ « وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ) .

=========

(**عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ**) و: عياض -بكسر أوله، وتخفيف التحتانية، وآخره معجمة- ابن حمار -بكسر الحاء المهملة، التميميّ الصحابيّ، سكن البصرة، وعاش إلى حدود الخمسين.

(**كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا**) أي : أعطيته ، والنحلة : العطية .

(**حَلاَلٌ**) أي : يجوز له أكله .

(**وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ**) جمع حنيف وهو المخلص المستقيم ، المائل عن الشرك .

(**وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ**) جمع شيطان ، مأخوذ من شَطنَ إذا بَعُدَ ، سمي بذلك لبعده عن الحق والخير وتمرده .

(**وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ**) أي : وحرمت عليهم الشياطين ما أحللت لهم من الطيبات .

(**وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي**) أي : إن الشياطين أمرت العباد بالشرك وزيّنته لهم .

(**وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ**) أي : رآهم ووجدهم متفقين على الشرك منهمكين في الضلالة .

(**فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ**) أي : أبغضهم أشد البغض لسوء اعتقادهم وخبث صنيعهم ، المقت : أشد البغض .

(**إِلاَّ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَاب**) هم الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل .

(**وَقَالَ إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ**) أي : وقال الله تعالى لنبيه ﷺ بعثتك وأرسلتك بالحق لأختبرك بتبليغ الرسالة والصبر على أذى أهل الجاهلية .

(**وَأَبْتَلِيَ بِكَ**) أي : ولأختبر بسببك قومك ، هل يؤمنون بك أو يكفرون ؟

(**وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لاَ يَغْسِلُهُ الْمَاءُ**) **قال النووي** : فَمَعْنَاهُ : مَحْفُوظ فِي الصُّدُور ، لَا يَتَطَرَّق إِلَيْهِ الذَّهَاب ، بَلْ يَبْقَى عَلَى مَرّ الْأَزْمَان .

وقال القرطبي : أي يسرت تلاوته وحفظه، فخف على الألسنة، ووعته القلوب، فلو غسلت المصاحف لما انغسل من الصدور، ولما ذهب من الوجود، ويشهد لذلك قوله تعالى (إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) وقوله (وَلَقَد يَسَّرنَا القُرآنَ لِلذِّكرِ فَهَل مِن مُدَّكِرٍ).

(**تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ**) **قال النووي**: قَالَ الْعُلَمَاء: مَعْنَاهُ يَكُون مَحْفُوظًا لَك فِي حَالَتَيْ النَّوْم وَالْيَقَظَة، وَقِيلَ: تَقْرَأهُ فِي يُسْر وَسُهُولَة.

وقال القرطبي : يحتمل أن يريد بذلك: أنه يوحى إليه القرآن في اليقظة والمنام، وقد تقدَّم أن رؤيا الأنبياء وحي ، ويحتمل أن يكون معنى نائم هنا: مضطجعا، يعني في صلاة المريض، قالهما القاضي، وفيهما بعد، وأشبه منهما – إن شاء الله – أن الله يسره على لسان نبيه، وذكره، بحيث كان يقرؤه نائما كما كان يقرؤه منتبها ، لا يخل منه بحرف، لا سيما وقد كان ﷺ تنام عيناه ولا ينام قلبه (**وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا**) المراد كفار قريش .

قال القرطبي : أي: أغيظهم بما أسمعهم من الحق الذي يخالف أهواءهم، وأؤلم قلوبهم بعيب آلهتهم، وتسفيه أحلام آبائهم، وقتالهم، ومغالبتهم حتى كأني أحرق قلوبهم بالنار. ولا يصح أن يحمل ذلك على حقيقته؛ لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يصح عنه أنه حرق أحدا من قريش بالنار، بل قد نهى عن التعذيب بالنار، وقال: لا يعذب بالنار إلا الله .

(**فَقُلْتُ رَبِّ إِذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً**) هِيَ بِالثَّاءِ الْمُثَلَّثَة، أَيْ: يَشْدَخُوهُ وَيَشُجُّوهُ، كَمَا يُشْدَخ الْخُبْز، أَيْ: يُكْسَر.

(**قَالَ اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ**) **قال القرطبي** : أي أخرجهم كما أخرجوك. والسين والتاء زائدتان كما يقال: استجاب، بمعنى أجاب. وقد رواه العذري: كما أخرجوك. وهذا يدل على أن هذا القول صدر عن النبي ﷺ بالمدينة بعد الهجرة؛ فإنَّ أهل مكة هم الذين أخرجوه من مكة حتى هاجر إلى المدينة.

(**وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ**) بِضَمِّ النُّون ، أَيْ : نُعِينك .

قال القرطبي : أي اعزم على غزوهم، واشرع فيه نعنك على غزوهم، وننصرك عليهم.

(**وَأَنْفِقْ**) الإنفاق : اخراج المال في المصالح العامة والأهل والأقارب .

(**فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ**) هذا وعد من الله تعالى لنبيه ﷺ بأنه سيعوضه ويعطيه خَلَفَه .

(**وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ**) أي : أرسل إلى الكفار حيشاً من المسلمين نبعث من الملائكة خمسة أمثال جيشك .

(**وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ**) أي : وجاهد في سبيلي بمن اتبعك من المؤمنين من عصاك من الكافرين .

(**قَالَ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلاَثَةٌ**) أي: المتأهلون لدخولها، الصالحون له.

(**ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ**) المقسط: العادل. والمتصدق: المعطي للصدقات. والموفق: المسدد لفعل الخيرات.

(**وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى**) رحيم: كثير الرحمة. والقربى: القرابة. ورقيق القلب: لينه عند التذكر والموعظة، ويصح أن يكون بمعنى الشفيق.

(**وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ**) عَفيفٌ، أي: مُتَّصِفٌ بالعفَّةِ، مُجتَنِبٌ عمَّا لا يَحِلُّ، مُتعفِّفٌ، عَنِ السُّؤالِ، مُتوكِّلٌ على المَلِكِ المتعالِ في أمْرِه، والعفيفُ مَن كانت العِفَّةُ سَجيَّةً وطَبيعةً له، والمتعفِّفُ مَن يُكلِّفُ نفْسَه بالعفَّةِ ويَكتسِبُها بعْدَ أنْ لم تكُنْ، وهو ذُو عِيالٍ، أي: له مِن الأولادِ ونحوِهم ممَّا يَحتاجُون الإنفاقَ عليهم، إلَّا أنَّه لا يَحمِلُه حاجةُ العيالِ ولا خَوفُ رزقِهم على ترْكِ التَّوكُّلِ على اللهِ عزَّ وجلَّ، فلا يَسأَلُ النَّاسَ ما في أيْدِيهم، بلْ يَبذُلُ نفْسَه في كَسبِ قوتِ يومِهِ.

(**قَالَ : وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ**) أي : أهلها .

(**الضَّعِيفُ الَّذِى لاَ زَبْرَ لَهُ**) (زَبْر) بِفَتْحِ الزَّاي وَإِسْكَان الْمُوَحَّدَة أَيْ : لَا عَقْل لَهُ يَزْبُرُهُ وَيَمْنَعهُ مِمَّا لَا يَنْبَغِي .

(**الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لاَ يَتْبَعُونَ أَهْلاً وَلاَ مَالاً**) هذا تفسير من النبي ﷺ لقوله أولا (الضعيف الذي لا زبر له) فيعني بذلك: أن هؤلاء القوم ضعفاء العقول، فلا يسعون في تحصيل مصلحة دنيوية، ولا فضيلة نفسية ولا دينية، بل: يهملون أنفسهم إهمال الأنعام، ولا يبالون بما يثبون عليه من الحلال والحرام، وهذه الأوصاف الخبيثة الدنيئة هي أوصاف هذه الطائفة المسماة بالقلندرية

(**وَالْخَائِنُ الَّذِى لاَ يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلاَّ خَانَهُ**) الخائن: هو الذي يأخذ مما اؤتمن عليه بغير إذن مالكه، ويخفى له – هنا – بمعنى يظهر .

(**وَرَجُلٌ لاَ يُصْبِحُ وَلاَ يُمْسِى إِلاَّ وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ**) هذا الثالث : رجُلٌ لا يَمُرُّ عليه زمنٌ مِن الأزمانِ ليلًا أو نهارًا، إلَّا أنَّه يُريدُ خِداعَك في أهلِكَ وزَوجتِكَ بفِعلِ الفاحشةِ، وفي مالِكَ يأخُذُه ظُلمًا وسَرِقةً أو غَصبًا أو نَهْبًا.

(**وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوِ الْكَذِبَ**) أي : وذكر البخل أو الكذب ، والرواية المشهورة كما قال القاضي عياض والقرطبي هي بالواو

(**وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ**) هذا الخامس من أصناف أصحاب النار ، والشنظير فسره بالحديث بأنه الفحاش .

١–بيان اهتمام النبيّ ﷺ في تعليم أمته ما لا يعلمونه، مما علّمه الله –عزوجل– بالوحي.

٢–الحديث دليل على أن ما أعطاه الله لعبده من المال فهو حلال له ويتصرف فيه وفق الشرع .

٣–بَيانُ أنَّ ما يَملِكُه الإنسانُ حلالٌ لا يَحرُمُ منه شَيءٌ إلَّا ما حرَّمَه اللهُ، وليْس بأهواءِ البشَرِ.

٤–الحديث دليل على أن العباد كلهم خلقوا على الحنيفية .

قال شيخ الإسلام : والله تعالى فطر عباده على محبته ومعرفته، وهذه هي الحنيفية التي خلق عباده عليها، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: قال: (يقول الله تعالى: إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا) .

وقد قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) .

وقال ﷺ (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمةً جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء) . (درء التعارض)

وقال ابن القيم: معناه: جعل فطرته مقتضية لقبول الإسلام لأنه الدين الحق الموافق للفطرة السلمية والعقول المستقيمة.

يعني أن الإنسان إذا تُرِك بدن مؤثر خارجي فالمفروض أنه يقر بوجود الله وأحقيته بالعبودية وحده.

قال ابن كثير رحمه الله: "فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره.

ذلك أن الفطر السليمة توجب أن يكون لهذا العالم العجيب العظيم ربٌّ خلقه وأوجده، مالك له ومدبر له ومتصرف فيه، وأن هذا الربَّ هو المستحقُّ وحده أن يُعبَد ويُوحَّد، وأن تصرف إليه جميعُ صنوفُ العبادةِ(يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم ...)ثم ينبغي أن يكون هو الذي يأمرُ فيطاع، وينهى فلا يعصى(ألا له الخلق والأمر) .

٥–**قال ابن رجب** : وقوله: (كُلُّكم ضالٌّ إلاَّ مَنْ هديتُه) قد ظنَّ بعضُهم أنَّه معارض لِحديث عياض بنِ حمار، عن النَّبيِّ ﷺ (يقولُ اللهُ – عز وجل – خلقتُ عبادي حنفاء ، وفي روايةٍ: مسلمين فاجتالتهم الشياطين) .

وليس كذلك، فإنَّ الله خلق بني آدم، وفطرهم على قبول الإسلام، والميل إليه دونَ غيره، والتهيؤ لذلك ، والاستعداد له بالقوَّة، لكن لابدَّ للعبد من تعليم الإسلام بالفعل، فإنَّه قبل التعليم جاهلٌ لا يعلم شيئاً، كما قال تعالى (وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ ... شَيْئاً) وقال لنبيه ﷺ (وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى) والمراد: وجدَك غيرَ عالمٍ بما علَّمك من الكتاب والحكمة، كما قال تعالى (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَان) .

فالإنسان يولد مفطوراً على قبول الحقِّ، فإنْ هداه الله سبَّب له من يعلمه الهدى ، فصار مهتدياً بالفعل بعد أنْ كان مهتدياً بالقوَّة، وإنْ خذله الله، قيَّض له من يعلمه ما يُغير فطرته كما قال ﷺ:(كلُّ مولودٍ يُولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه ويُنصرانه ويمجسانه) . (جامع العلوم)

٦-في الحديث دليل على أن هناك أسباباً تؤثر على فطرة الإنسان ، ومن هذه الأسباب الشياطين .

وفي الحديث (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه، أو ينصّرانه، أو يمجّسانه، كما تُنتَج البهيمة بهيمةً جمعاءَ، هل تُحِسّون فيها من جدعاء ...) الحديث متّفقٌ عليه.

٧-خطر الشرك .

٨-أن الشيطان يأمر بالشرك .

٩-بيان ما كان عليه أهل الجاهليّة قبل مبعث النبيّ ﷺ من انحرافهم عن الدين، حتى مقتهم الله -عز وجل- إلا طائفة من أهل الكتاب استمرّوا على منهج أنبيائهم -عليهم السلام-.

١٠-أن من حكمة بعثة النبي ﷺ ابتلاء وامتحاناً له ، هل يبلغ رسالة ربه ، وهل يصبر على أذى قومه .

١١-ومن حكمة ذلك أيضاً امتحان الخلق في قبول الرسالة وإجابة الدعوة .

١٢-بيان تيسير الله تعالى القرآن، وتسهيله على النبيّ ﷺ وعلى أمته، كما قال تعالى (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) ، وهو محفوظ بحفظه تعالى، لا يضيع، ولا يغسله الماء، فقد قيّض الله تعالى له حفظة بررة، كما وعد بذلك، حيث قال (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) .

١٣-أن الله -سبحانه وتعالى- أمر النبيّ ﷺ بجهاد قريش، وإخراجهم من دارهم، وغزوهم، والإنفاق في سبيل قتالهم، وبعث الجيش، وأنه يُمدّهم بخمسة أمثالهم من الملائكة، وقد حصل كلّ ذلك، كما في غزوة بدر، وغيرها.

١٤-الأمر بالإنفاق في وجوه الخير ، وأن الله يخلفه ويرزقه .

١٥-أن من أهل الجنة : صاحب الولاية العادل بين من ولاه الله عليه .

١٦-ومن أهل الجنة : الرجل الذي يرحم الذي يرحم كل مسلم ، رقيق القلب .

١٧-ومن أهل الجنة : ذا العيال الفقير لكنه عفيف متعفف قوي التوكل .

١٨-أن من أهل النار : الضعيف الذي وُصف ، والخائن ، والمخادع ، والبخيل والكذاب ، والفحاش .

فائدة :

هل يفيد هذا الحديث الحصر بحيث إنه لا يدخل الجنة إلا هذه الأجناس الثلاثة ؟

قيل : نعم ، يفيد الحصر .

فإن أهل الجنة لا يخرجون عن هذه الأجناس الثلاثة من الناس ، فعبر بالسلطان المقسط : عن كل ذي ولاية ، فيدخل في ذلك الحاكم في ولايته ، والأب في أسرته ، والرئيس في عمله ، وكل من له ولاية على أحد .

وعبّر بالرحيم رقيق القلب : عن عموم المسلمين ، فالمسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يسلمه ، ويحبه ، ويحب له ما يحب لنفسه من الخير ، ويعطف عليه ويرفق به ويرحمه ، وقد قال النبي ﷺ (لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا). رواه مسلم وقال ﷺ(الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) رواه أبو داود .

وقال ﷺ (إنما يرحم الله من عباده الرحماء) رواه أبو داود .

وعبر بالعفاف عن تقوى الله المانعة من تعدي حرمات الله والتجاسر عليها ، قال القاري رحمه الله : " وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَشَارَ بِالْعَفِيفِ : إِلَى مَا فِي نَفْسِهِ مِنَ الْقُوَّةِ الْمَانِعَةِ عَنِ الْفَوَاحِشِ " انتهى من "مرقاة المفاتيح" .

قَالَ الطِّيبِيُّ رحمه الله : وَإِذِ اسْتَقْرَيْتَ أَحْوَالَ الْعِبَادِ ، عَلَى اخْتِلَافِهَا : لَمْ تَجِدْ أَحَدًا يَسْتَأْهِلُ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَيَحِقَّ لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا ، إِلَّا وَهُوَ مُنْدَرِجٌ تَحْتَ هَذِهِ الْأَقْسَامِ ، غَيْرُ خَارِجٍ عَنْهَا .

وقيل : يفيد أن غالب أهل الجنة إنما يكونون من هؤلاء الأصناف .

فقد يأتي ما يفيد ظاهره الحصر، ويكون المراد الإشارة إلى الغالب، كقوله ﷺ (الْخَمْرُ مِنْ هَاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ: النَّخْلَةِ وَالْعِنَبَةِ). رواه مسلم، والمقصود إرَادَةُ الْغَالِبِ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ مَا يُتَّخَذُ الْخَمْرُ مِنْ الْعِنَبِ وَالتَّمْرِ .

ومنه قوله ﷺ (بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ) رواه البخاري ومسلم .

فإن المراد الإشارة إلى معظم ما خلقت له ، وإلا فقد خلقت للحلب والدر واللحم أيضا . انظر : "فتح الباري"

وقيل : لا يفيد الحصر لأنه مفهوم عدد ، ومفهوم العدد لا يفيد الحصر ، والتخصيص بعدد : لا يدل على نفي الزائد .

قال النووي : الْمَشْهُورَ الصَّحِيحَ عِنْدَ الْأُصُولِيِّينَ : أَنَّ مَفْهُومَ الْعَدَدِ لَا حُكْمَ لَهُ ؛ فَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ نَفْيُ الزِّيَادَةِ ، لَوْ لَمْ يُعَارِضْهُ إِثْبَاتُ الزِّيَادَةِ ؛ فإذا عَارَضَهُ وَجَبَ قَبُولُ الزِّيَادَةِ " انتهى بمعناه.

٣٨٩-عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالاً فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالاً فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ وَاللَّهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالاً. فَيَقُولُونَ وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالاً) .

==========

(إِنَّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ سُوقًا) أي مجمعا لهم يجتمعون فيه كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق .

(يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ) أي مقدارها من الدنيا، إذ ليس هناك حقيقة أسبوع لفقد الشمس والليل.

١-في هذا الحديثِ يَصِفُ النَّبيُّ ﷺ بعضَ نَعيمِ الجَنَّةِ وصِفاتِ أهلِها وصِفةِ عَيشِهم فيها، فيقول: إنَّ في الجَنَّةِ لَسوقًا ، أي: مُجتمعًا يَجتَمِعونَ فيه كما يَجتَمِعونَ للسُّوقِ في الدُّنيا يَحضُرُ أهلُ الجَنَّةِ تلكَ السُّوقَ

قال النووي : الْمُرَاد بِالسُّوقِ مَجْمَع لَهُمْ يَجْتَمِعُونَ كَمَا يَجْتَمِع النَّاس فِي الدُّنْيَا فِي السُّوق، وَمَعْنَى (يَأْتُونَهَا كُلّ جُمُعَة) أَيْ: فِي مِقْدَار كُلّ جُمْعَة أَيْ أُسْبُوع، وَلَيْسَ هُنَاكَ حَقِيقَة أُسْبُوع لِفَقْدِ الشَّمْس وَاللَّيْل وَالنَّهَار، وَالسُّوق يُذَكَّر وَيُؤَنَّث، وَهُوَ أَفْصَح، وَ(رِيح الشَّمَال) بِفَتْحِ الشِّين وَالْمِيم بِغَيْرِ هَمْزَة، هَكَذَا الرِّوَايَة قَالَ صَاحِب الْعَيْن: هِيَ الشَّمَال وَالشَّمْأَل بِإِسْكَانِ الْمِيم مَهْمُوز، وَالشِّئْمَلَة بِهَمْزَةٍ قَبْل الْمِيم ، وَالشَّمْل بِفَتْحِ الْمِيم بِغَيْرِ أَلِف، وَالشَّمُول بِفَتْحِ الشِّين وَضَمّ الْمِيم، وَهِيَ الَّتِي تَأْتِي مِنْ دُبُر الْقِبْلَة، قَالَ الْقَاضِي: وَخَصَّ رِيح الْجَنَّة بِالشَّمَالِ لِأَنَّهَا رِيح الْمَطَر عِنْد الْعَرَب كَانَتْ تَهُبّ مِنْ جِهَة الشَّام، وَبِهَا يَأْتِي سَحَاب الْمَطَر، وَكَانُوا يَرْجُونَ السَّحَابَة الشَّامِيَّة، وَجَاءَتْ فِي الْحَدِيث تَسْمِيَة هَذِهِ الرِّيح الْمُثِيرَة أَيْ الْمُحَرِّكَة، لِأَنَّهَا تُثِير فِي وُجُوههمْ مَا تُثِيرهُ مِنْ مِسْك أَرْض الْجَنَّة وَغَيْره مِنْ نَعِيمهَا. (نووي)

وقال عِياضٌ: قَولُه (إنَّ في الجَنَّةِ لَسُوقًا) الحَديثُ، يُريدُ: مُجتَمَعًا لِأهلِ الجَنَّةِ، كَما تَجتَمِعُ إلى السُّوقِ في الدُّنيا، وهذا يَومُ المزارِ وهو يَومُ الجُمُعةِ، ويَومُ المزيدِ، كَما قال في الحَديثِ. وسُمِّيَ السُّوقُ سُوقًا لِسَوقِ مَن يَأتيها مِنَ النَّاسِ ببضائِعِهم إليها. والسُّوقُ يُذكَّرُ ويُؤَنَّثُ. وقَولُه: (فتَهُبُّ ريحُ الشَّمالِ):... وهي التي تَأتي مِن دُبُرِ القِبلةِ. وخُصَّ ريحُ الجَنَّةِ بالشَّمالِ -واللهُ أعلَمُ- بأنَّها ريحُ المطَرِ عِندَ العَربِ، كانَت تَهُبُّ مِنَ الشَّامِ، وبها يَأتي سَحابُ المطَرِ، وكانَت تُرجى السَّحابُ الشَّاميَّةُ؛ ولِذَلِكَ أيضًا سَمَّى هذه الرِّيحَ في الحَديثِ الآخَرِ (المثيرةَ) أي المجَداة، كَما قال (فتَحثُو في وُجُوهِهم) يَعني: ما يُثيرُه مِن مِسكِ أرضِ الجَنَّةِ وغيرِ ذَلِكَ مِن نَعيمِها، وهو مُقابَلةُ الجَنُوبِ . (إكمال المعلم)

وقال أبُو العَبَّاس القُرطُبِيُّ: سُمِّي سُوقًا لِقيامِ النَّاسِ فيها على ساقٍ، وقيلَ: لِسَوقِ النَّاسِ بضائِعَهم إليها، فيُحتَمَلُ أن يَكُونَ سُوقُ الجَنَّةِ عِبارةً عَن مُجتَمَعِ أهلِ الجَنَّةِ، ومَحَلِّ تَزاوُرِهم، وسُمِّيَ سُوقًا بالمعنى الأولِ، ويُؤيِّدُ هذا أنَّ أهلَ الجَنةِ لا يَفقِدُونَ شيئًا حَتَّى يَحتاجُوا إلى شِرائِه مِنَ السُّوقِ، ويُحتَمَلُ أن يَكُونَ سُوقًا مُشتَمِلًا على مَحاسِنَ مُشتَهياتٍ مُستَلَذَّاتٍ، تُجمَعُ هنالِكَ مُرَتَّبةً مُحَسَّنةً، كَما تُجمَعُ في الأسواقِ، حَتَّى إذا جاءَ أهلُ الجَنةِ فرَأَوها، فمَنِ اشتَهى شيئًا وصَلَ إليه مِن غيرِ مُبايَعةٍ ولا مُعاوَضةٍ، ونَعيمُ الجَنَّةِ وخيرُها أعظَمُ وأوسَعُ مِن ذَلِكَ كُلِّه، وخُصَّ يَومُ الجُمُعةِ بذَلِكَ لِفَضيلَتِه، ولِما خَصَّه اللهُ تعالى به مِنَ الأُمُورِ الَّتي تقَدَّم ذِكرُها، ولِأنَّه يَومُ المزيدِ، أيِ اليَومُ الَّذي يُوفَّى لَهم ما وُعِدُوا به مِنَ الزِّيادةِ. وأيَّامُ الجَنَّةِ تَقديريَّةٌ؛ إذ لا ليلَ هناكَ ولا نَهارَ، وإنَّما هناكَ أنوارٌ مُتَواليةٌ لا ظُلْمةَ مَعَها... وقَولُه: (فتَهُبُّ ريحُ الشَّمالِ فتَحثُو في وُجُوهِهم وثيابِهم) ريحُ الشَّمالِ في الدُّنيا: هي الَّتي تَأتي مِن دُبُرِ القِبلةِ مِن ناحيةِ الشَّامِ، وهي الَّتي تَأتي بلادَ العَرَب بالأمطارِ، فهي عِندَهم أحسَنُ الأرياحِ؛ فلِذَلِكَ سُمِّيَ ريحُ الجَنَّةِ بالشَّمالِ... ويُقابلُها: الجَنُوبُ، وقَد سَمِّيَتْ هذه الرِّيحُ في حَديثٍ آخَرَ بالمثيرةِ؛ لِأنَّها تُثيرُ النَّعيمَ والطِّيبَ على أهلِ الجَنَّةِ . (المفهم)

٢-في الحديثِ: أنَّ نَعيمَ الجَنَّةِ لا يَزالُ في زِيادةٍ أبدًا، وأنَّ أهْلَ الجَنَّةِ يَزدادُون دَومًا حُسنًا إلى حُسنِهم، وجَمالًا إلى جَمالِهم.

٣-**قال ابن تيمية** : وما في هذا الحديث من (ازدياد وجوههم حسنا وجمالا) لا يقتضى انحصار ذلك في الريح فإن أزواجهم قد ازدادوا حسنا وجمالا ولم يشركوهم في الريح... وعلى هذا فيمكن أن يكون نساؤهم المؤمنات رأين الله في منازلهن في الجنة رؤية اقتضت زيادة الحسن والجمال إذا كان السبب هو الرؤية كما جاء مفسرا في أحاديث أخر. كما أنهم في الدنيا كان الرجال يروحون إلى المساجد فيتوجهون إلى الله هنالك، والنساء في بيوتهن يتوجهن إلى الله بصلاة الظهر، والرجال يزدادون نورا في الدنيا بهذه الصلاة وكذلك النساء يزددن نورا بصلاتهن.

٤- أنَّ رِيحَ الشَّمالِ مُبارَكةٌ في الدُّنيا والآخرةِ.

٣٩٠-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِى يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ) .

==========

١-امعنى الحديث :

مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِى، أي: يوجدون بعد موتي، (يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي) أي: يتمنى رؤيتي مفتديًا (بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ).

قال المناوي : هذا من معجزاته إذ هو إخبار عن غيب وقع وقد وجد في كل عصر من يود ذلك ممن لا يحصى حتى قال بعض الأكابر: لو حجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عشت ذلك اليوم .

٢-شوق أناسٌ من أمّة النبي لرؤيته ﷺ يأتون بعده حتى أنّ أحدهم من شدّة الشوق وفَرْط الحب مستعد لأن يبذل أهله وماله مقابل أن يراه ﷺ. اللهم اجعلنا منهم.

٣-فَضْل أناس من أمّته ﷺ لخصال يُكرمهم الله بها ولو لم يكونوا ممن أدركه ﷺ .

٤-فضل رؤيتِهِ ﷺ وأنّها مما يُبذل لها الغالي والنفيس عند المؤمنين المحِبّين، فما بالُنا بمجالسته وصحبته بأبي هو وأمّي ﷺ ؟!

٥-أن من علامات حب النبي ﷺ: الشوق لرؤيته بل قد تصل درجة هذا الحب إلى أن يكون المحب مستعدّاً لبذل أهله وماله من أجل الظَّفَر بهذا الشرف العظيم: شَرَفِ رؤيته ﷺ، وهكذا كان حالُ أصحابه بعده ﷺ .

٦-بيان أن ما يُعطاه الإنسان من الأهل والمال وغير ذلك من أصناف نعيم الدنيا دون رؤية النبي ﷺ منزلةً؛ لأن هذه الأشياء نِعَمٌ فانية زائلة، وأما رؤيته ﷺ ففيها الفوز الدائم، والنعيم المقيم؛ لأنها موصلة إلى جنات النعيم.

٣٩١-عن ابن مسعود . قال : قالت أُمّ حَبِيبَةَ (اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّكِ سَأَلْتِ اللَّهَ لآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ وَآثَارٍ مَوْطُوءَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ لاَ يُعَجِّلُ شَيْئًا مِنْهَا قَبْلَ حِلِّهِ وَلاَ يُؤَخِّرُ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ حِلِّهِ وَلَوْ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ لَكَانَ خَيْرًا لَكِ ». قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ الْقِرَدَةُ وَالْخَنَازِيرُ هِيَ مِمَّا مُسِخَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُهْلِكْ قَوْمًا أَوْ يُعَذِّبْ قَوْمًا فَيَجْعَلَ لَهُمْ نَسْلاً وَإِنَّ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ) .

==========

(**عن ابن مسعود**) الصحابي الجليل .

(**قال : قالت أُمّ حَبِيبَةَ**) زوج النبي ﷺ ، وهي: رَمْلة بنت أبي سفيان بن حرب الأمويّة، أمّ المؤمنين، مشهورة بكنيتها .

(**اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ**) صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأمويّ الصحابي الشهير، أسلم عام الفتح .

وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ) بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية الأمويّ، أبو عبد الرحمن، الصحابيّ ابن الصحابيّ – رضي الله عنهما – الخليفة المشهور، أسلم قبل الفتح، وكَتَب الوحي، ومات ﷺ في رجب سنة ستين .

أي : أطل أعمارهم حتَّى أتمتع بهم زمانًا طويلًا تريد الدعاء لهؤلاء بطول عمرهم وزيادة في حياتهم .

(**إِنَّكِ سَأَلْتِ اللَّهَ لآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ**) أي: مقدّرة بما لا مزيد فيه، ولا نقصان .

وَآثَارٍ مَوْطُوءَةٍ) وفي الرواية الأخرى (وَأَيَّام مَعْدُودَةٍ)؛ أي: معلوم عددها، وهي الأيام التي يعيشونها في علم الله –سبحانه وتعالى–

(**لاَ يُعَجِّلُ شَيْئًا مِنْهَا**) من الآجال .

(**قَبْلَ حِلِّهِ**) أي : قبل حلول وقته .

(**وَلاَ يُؤَخِّرُ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ حِلِّهِ**) أي : وقت حلوله .

(**وَلَوْ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ لَكَانَ خَيْرًا لَكِ**) مما سألت من الزيَّادة في آجال محتمة، وأرزاق مقسومة، لا تزيد، ولا تنقص.

١–الحديث دليل على إثبات الموت ، وأن كل نفس ذائقة الموت .

قَالَ تَعَالَى (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) .

وَقَالَ تَعَالَى (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) .

وَقَالَ تَعَالَى (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) .

وَقَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) .

وَقَالَ تَعَالَى (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) .

وَقَالَ تَعَالَى (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) .

وقَالَ تَعَالَى (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) .

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: "أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ –الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ– أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ) .

٢–الحديث دليل على الآجال مقدرة لا تتقدم ولا تتأخر .

كما قَالَ تعالى (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا) .

قوله (كِتَاباً مُؤَجَّلاً) توكيد، والمعنى: كتب الله ذلك كتاباً مؤجلاً، أي: كتاباً ذا أجل، والأجل الوقت المعلوم.

قال البغوي: أي كتب لكل نفس أجلاً لا يَقْدر أحد على تغييره وتأخيره.

وقال الشوكاني: المؤجل المؤقت الذي لا يتقدم على أجله ولا يتأخر.

فكم من صحيح مات من غير علة ----- وكم من سقيم عاش حينا من الدهر.

فلله سبحانه وتعالى قدَّر آجال الخلائق بحيث إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.

كما قال تعالى (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ. مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ).

وقال تعالى (ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُوناً آخَرِين. مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ).

وقال تعالى (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ).

وقال ﷺ في حديث الباب (إِنَّكِ سَأَلْتِ اللَّهَ لآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ) .

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ (حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ فَوَالَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا) متفق عليه.

٣–الحديث دليل على أن الأرزاق مكتوبة مقدرة ، فلن يصل الإنسان إلا ما كتب له .

قال تعالى (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) .

وقال تعالى (وفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ) .

وعن ابن مسعود . قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق (إن أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلقُهُ فِيْ بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِيْنَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُوْنُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُوْنُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيْهِ الرُّوْحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيْدٌ) .

وقال ﷺ (إِنَّ رُوْحَ القُدُسِ نَفَثَ فِيْ رُوْعِي: أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوْتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللهَ، وَأَجْمِلُوْا فِيْ الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَاّ بِطَاعَتِهِ) .

فما كُتب للعبد من رزق وأجل لا بد أن يستكمله قبل أن يموت.

روى أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث جابر أن النبي ﷺ قال (لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ فَرَّ مِنْ رِزْقِهِ كَمَا يَفِرُّ مِنَ الموْتِ، لأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ كَمَا يُدْرِكُهُ الموْتُ) .

٤–وعلى ذلك : فينبغي للعبد أن يجمل في طلب الرزق كما قال ﷺ (أيها الناس اتقوا الله، وأجملوا في الطلب، فإن نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب ...) .

٥-وجوب الإيمان بأن الآجال والأرزاق مقسومة، معلومة، لا يجلبهما حرص حريص ولا يردهما كراهية كاره.

٦-بعض أسباب تحصيل الرزق :

أولاً: التوكل.

قال ﷺ (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير).

ثانياً: الاستغفار والتوبة.

قال تعالى (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً. وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً).

وقال تعالى (ويَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ).

قال القرطبي: في هذه الآية والتي في هود دليل على أن الاستغفار يُستنزل به الرزق والأمطار.

ثالثاً: التقوى .

قال تعالى (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ).

وقال تعالى (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ).

رابعاً: التفرغ للعبادة.

عن أبي هريرة. عن النبي ﷺ قال (إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم! تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك، وإن لا تفعل ملأت يدك شغلاً ولم أسد فقرك) رواه الترمذي.

خامساً: المتابعة بين الحج والعمرة.

عن عبد الله بن مسعود. قال: قال ﷺ (تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة) رواه الترمذي.

سادساً: صلة الرحم.

عن أبي هريرة. قال: قال ﷺ (من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه) متفق عليه.

سابعاً: الإنفاق في سبيل الله تعالى.

قال تعالى (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ).

قال ابن كثير: أي مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب كما ثبت في الحديث.

وقال تعالى (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً).

قال ابن عباس في تفسير الآية: اثنان من الله، واثنان من الشيطان (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ) يقول: لا تنفق مالك وأمسكه لك فإنك تحتاج إليه، (وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ) (وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ) على هذه المعاصي (وَفَضْلاً) في الرزق.

ثامناً: المهاجرة في سبيل الله.

قال تعالى (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً).

ففي هذه الآية وعد الله تعالى أن من هاجر في سبيله سيجد أمرين: أولهما: مراغماً كثيراً، وثانيهما: سعة.

٧-إذا كانت الأرزاق والأعمار مكتوبة ، فما المراد بقوله (... وأن ينسأ له في أثره) .

اختلف العلماء في ذلك على أقوال:

القول الأول: أن الزيادة كناية عن البركة في العمر، بسبب توفيق صاحبه إلى الطاعة، وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة.

ورجح هذا النووي، والطيبي.

قال النووي: وَأَمَّا التَّأْخِير فِي الْأَجَل فَفِيهِ سُؤَال مَشْهُور، وَهُوَ أَنَّ الْآجَال وَالْأَرْزَاق مُقَدَّرَة لَا تَزِيد وَلَا تَنْقُص (فَإِذَا جَاءَ أَجَلهمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَة وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) وَأَجَابَ الْعُلَمَاء بِأَجْوِبَةٍ الصَّحِيح مِنْهَا أَنَّ هَذِهِ الزِّيَادَة بِالْبَرَكَةِ فِي عُمْره، وَالتَّوْفِيق لِلطَّاعَاتِ، وَعِمَارَة أَوْقَاته بِمَا يَنْفَعهُ فِي الْآخِرَة، وَصِيَانَتهَا عَنْ الضَّيَاع فِي غَيْر ذَلِكَ.

القول الثاني: أن الزيادة الواردة في الأحاديث هي بالنسبة لعلم الملَك الموكل بالعمر، وأما ما ورد في الآيات فهو بالنسبة لعلم الله، فيكون معنى الحديث: أن التأخير يكون في أثره المكتوب في صحف الملائكة، وأما أثره المعلوم عند الله فلا تقديم ولا تأخير.

وهذا قول البيهقي، وابن تيمية، وابن حجر، والسعدي.

قال ابن تيمية: وَالْجَوَابُ الْمُحَقَّقُ: أَنَّ اللَّهَ يَكْتُبُ لِلْعَبْدِ أَجَلًا فِي صُحُفِ الْمَلَائِكَةِ، فَإِذَا وَصَلَ رَحِمَهُ زَادَ فِي ذَلِكَ الْمَكْتُوبِ. وَإِنْ عَمِلَ مَا يُوجِبُ النَّقْصَ نَقَصَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكْتُوبِ ... وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ عَالِمٌ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ؛ فَهُوَ يَعْلَمُ مَا كَتَبَهُ لَهُ وَمَا يَزِيدُهُ إيَّاهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَالْمَلَائِكَةُ لَا عِلْمَ لَهُمْ إلَّا مَا عَلَّمَهُمْ اللَّهُ وَاَللَّهُ يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ كَوْنِهَا وَبَعْدَ كَوْنِهَا، فَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: إنَّ الْمَحْوَ وَالْإِثْبَاتَ فِي صُحُفِ الْمَلَائِكَةِ وَأَمَّا عِلْمُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَلَا يَخْتَلِفُ وَلَا يَبْدُو لَهُ مَا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِهِ فَلَا مَحْوَ فِيهِ وَلَا إثْبَاتَ. وَأَمَّا اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ فَهَلْ فِيهِ مَحْوٌ وَإِثْبَاتٌ عَلَى قَوْلَيْنِ. وَاَللَّهُ سُبْحَانَه.

أ- قال تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت).

قال السعدي عند تفسير الآية: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ) من الأقدار (وَيُثْبِتُ) ما يشاء منها، وهذا المحو والتغيير في غير ما سبق به علمه وكتبه قلمه فإن هذا لا يقع فيه تبديل ولا تغيير لأن ذلك محال على الله، أن يقع في علمه نقص أو خلل ولهذا قال (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) أي: اللوح المحفوظ الذي ترجع إليه سائر الأشياء، فهو أصلها، وهي فروع له وشعب.

فالتغيير والتبديل يقع في الفروع والشعب، كأعمال اليوم والليلة التي تكتبها الملائكة، ويجعل الله لثبوتها أسباباً ولمحوها أسباباً، لا تتعدى تلك الأسباب، ما رسم في اللوح المحفوظ، كما جعل الله البر والصلة والإحسان من أسباب طول العمر وسعة الرزق، وكما جعل المعاصي سببا لمحق بركة الرزق والعمر، وكما جعل أسباب النجاة من المهالك والمعاطب سبباً للسلامة، وجعل التعرض لذلك سببا للعطب، فهو الذي يدبر الأمور بحسب قدرته وإرادته، وما يدبره منها لا يخالف ما قد علمه وكتبه في اللوح المحفوظ.

ب- ما روي عن عدد من الصحابة أنهم كانوا يقولون في أدعيتهم: اللهم إن كنت كتبتني شقياً فامحني واكتبني من أهل السعادة.

القول الثالث: أَنَّ الْمُرَاد بَقَاء ذِكْره الْجَمِيل بَعْده، فَكَأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ.

قال النووي: حَكَاهُ الْقَاضِي، وَهُوَ ضَعِيف أَوْ بَاطِل.

القول الرابع: أن المراد بالزيادة ما يكون للواصل من ذرية صالحة يدعون له بعد موته.

واختاره حافظ حكمي.

٨-**قال القرطبيّ** -رحمه الله-: قد أورد بعض علمائنا على هذا سؤالًا، فقال: ما

معنى صَرْفه لها عن الدعاء بطول الأجل، وحَضّه لها على العياذ من عذاب القبر، وكل ذلك مقدّرٌ، لا يدفعه أحدٌ، ولا يردّه سبب؟ فالجواب: أنه ﷺ لم ينهها عن الأول، وإنَّما أرشدها إلى ما هو الأَولى والأفضل، كما نصّ عليه، ووجهه كون الثاني أَولى وأفضل، أنه قيام بعبادة الاستعاذة من عذاب النار، والقبر، فإنَّه قد تَعَبّدنا بها في غير ما حديث، ولم يَتَعبّدنا بشيء من القِسْم الذي دعت هي

به، فافترقا. وأيضًا: فانَّ التعوذ من عذاب القبر والنار تذكير بهما، فيخافهما المؤمن، فيحذرهما، ويتقيهما، فيجعل من المتقين الفائزين بخير الدنيا والآخرة.

٩-استحباب الاستعاذة من عذاب النار .

١٠-استحباب الاستعاذة من عذاب القبر .

٣٩٢-عن ابن مسعود . قال : قال ﷺ (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُهْلِكْ قَوْمًا أَوْ يُعَذِّبْ قَوْمًا فَيَجْعَلَ لَهُمْ نَسْلاً وَإِنَّ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ) .

==========

١-في هذا الحديثِ يقولُ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ: "ذُكِرَ عند النبي ﷺ القِرَدَةُ والخَنازيرُ، فقال: إنَّ اللهَ لم يَجعَلْ للمَسْخِ" والمقْصودُ بِه مَنْ حوَّل اللهُ صورَتَه من صورَةِ الآدَميِّ إلى صورَةٍ أُخْرى مِثلَ المكَذِّبينَ من بني إسرائيلَ الذين جَعَلَهم اللهُ قِرَدَةً وخَنازيرَ، ولم يَجعَلْ لهم "نَسْلًا ولا عَقِبًا" فلا يَتوالَدونَ بعدَ مَسْخِهم، وقد وَرَدَ أنَّهم ماتوا بعدَ ثَلاثَةِ أيامٍ، "وقد كانتِ القِرَدَةُ والخَنازيرُ قَبْلَ ذلِك" يعني كانتْ مَخْلوقَةً ومَوْجودَةً قَبْلَ وُقوعِ المسْخِ.

٢-جاء في الصحيحين : عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (فُقِدَتْ أُمَّةٌ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ لاَ يُدْرَى مَا فَعَلَتْ وَلاَ أُرَاهَا إِلاَّ الْفَأْرَ أَلاَ تَرَوْنَهَا إِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الإِبِلِ لَمْ تَشْرَبْهُ وَإِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الشَّاءِ شَرِبَتْهُ) .

معنى الحديث: قال شراح الحديث: (فقدت أمة من بني إسرائيل) أي: ذهبت طائفة منهم أو سبط لا يعلم ما وقع لهم. فيقول ﷺ: (لا أراها) أي: لا أظنها إلا مسخها الله تعالى لجنس الفأر. (ألا ترونها إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشربه، وإذا وضع لها ألبان الشاء شربته؟) .

قال النووي: معنَى هَذَا أَنَّ لُحُوم الْإِبِل وَأَلْبَانهَا حُرِّمَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيل دُون لُحُوم الْغَنَم وَأَلْبَانهَا، فَدَلَّ بِامْتِنَاعِ الْفَأْرَة مِنْ لَبَن الْإِبِل دُون الْغَنَم عَلَى أَنَّهَا مَسْخ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل. (نووي)

والظاهر من الحديث أنه ﷺ .قال ذلك اجتهاداً منه وظناً قبل أن يخبر من الله تعالى أنه لم يجعل لمسخ نسلاً ولا عقباً كما ثبت عنه ﷺ .كما في حديث الباب .

وعليه؛ فهذه الحيوانات كانت قبل أن يكون المسخ لبعض الأمم، ومن مسخ منهم قردة أو خنازير أو غيرها فقد انقرض ولم يبق له وجود.

قال الحافظ في الفتح: وذكر عند النبي ﷺ القردة والخنازير، فقال: إن الله لم يجعل للمسخ نسلاً ولا عقباً، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك- كما في صحيح مسلم وغيره-، وعلى هذا يحمل قوله ﷺ (لا أراها إلا الفأر) وكأنه كان يظن ذلك ثم أعلم بأنها ليست هي.

٣ - والمسخ قد وقع عقوبة من رب العالمين لقوم من بني إسرائيل تحايلوا على الشرع، حرم الله عليهم الصيد يوم السبت فصنعوا حيلة للوصول إلى ما حرم الله، فمسخهم الله قردة خاسئين.

كما في قوله تعالى في سورة الأعراف: (وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ).

٤-والمسخ عقوبة باقية سوف تحدث لأقوام من هذه الأمة المحمدية.

كما أخبر النبي ﷺ فقال: (لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ -يَعْنِي الفَقِيرَ- لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللَّهُ، وَيَضَعُ العَلَمَ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ). أخرجه البخاري في صحيحه معلقاً بصيغة الجزم.

٥-وقد اختلف أهل العلم في كون هؤلاء الذين مسخهم الله قردة من بني إسرائيل وغيرهم: هل يهلكهم الله، ولا يكون لهم نسل، أم أنهم يكون لهم نسل وعقب؟ على قولين لأهل العلم.

حيث قال القرطبي في "تفسيره" وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْمَمْسُوخِ هَلْ يَنْسِلُ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ: قَالَ الزَّجَّاجُ: قَالَ قَوْمٌ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْقِرَدَةُ مِنْهُمْ. وَاخْتَارَهُ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ ابْنُ الْعَرَبِيِّ.

وَقَالَ الْجُمْهُورُ: الْمَمْسُوخُ لَا يَنْسِلُ.

وَإِنَّ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَغَيْرُهُمَا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ، وَالَّذِينَ مسخهم الله قد هلكوا وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ نَسْلٌ ". انتهى.

والقول بأنه ينسل قول ضعيف شاذ كما ذكر غير واحد من أهل العلم، وقد ورد في الحديث الصحيح ما يدل على هلاك من مسخهم الله، وأنه ليس لهم نسل ولا عقب.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود ﷺ، أن النَّبِيَّ ﷺ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ الْقِرَدَةُ -قَالَ مِسْعَرٌ: وَأُرَاهُ قَالَ: وَالْخَنَازِيرُ مِنْ مَسْخٍ- فَقَالَ: (إِنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ لِمَسْخٍ نَسْلًا وَلَا عَقِبًا، وَقَدْ كَانَتِ الْقِرَدَةُ وَالْخَنَازِيرُ قَبْلَ ذَلِكَ) .

٦-أنَّ القِردَةَ والخَنازيرَ التي نَراها اليومَ لَيستْ مُنحدِرَةً مِن نَسْلِ الذين مَسَخَهمُ اللهُ مِن عُصاةِ بَني إسرائيلَ .

٧-قال الحافظ: وَقَدْ ذَهَبَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ وَأَبُو بَكْرِ بْنِ الْعَرَبِيِّ إِلَى أَنَّ الْمَوْجُودَ مِنَ الْقِرَدَةِ مِنْ نَسْلِ الْمَمْسُوخِ وَهُوَ مَذْهَب شَاذ.

٣٩٣ -عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ (إِنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُجَامِعُ أَهْلَهُ ثُمَّ يُكْسِلُ هَلْ عَلَيْهِمَا الْغُسْلُ وَعَائِشَةُ جَالِسَةٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :إِنِّي لأَفْعَلُ ذَلِكَ أَنَا وَهَذِهِ ثُمَّ نَغْتَسِلُ) .

==========

(**ثُمَّ يُكْسِلُ**) بضم الياء ويجوز فتحها، يقال: أكسل الرجل في جماعته إذا أضعف عن الإنزال.

١-الحديث دليل على أن من جامع أهله فيجب عليه الغسل ولو لم ينزل .

ويدل لذلك أيضاً :

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ (إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الأَرْبَعِ ثُمَّ جَهَدَهَا فَقَدْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْغُسْلُ ، وَإِنْ لَمْ يُنْزِلْ) .

وهذا الحكم ذهب إليه الجمهور، بل حكاه بعضهم إجماعاً للصحابة .

حكى ذلك النووي وابن العربي: أن الصحابة أجمعوا على وجوب الغسل من الإيلاج ولو لم ينزل لهذا الحديث الصحيح الصريح.

وقد كان فيه خلافاً لبعض الصحابة كأبي سعيد وزيد بن خالد ورافع بن خديج وداود الظاهري؛ أنه لا يجب الغسل إلا بالإنزال.

قال النووي: وَمَعْنَى الْحَدِيث: أَنَّ إِيجَاب الْغُسْل لا يَتَوَقَّف عَلَى نُزُول الْمَنِيّ، بَلْ مَتَى غَابَتْ الْحَشَفَة فِي الْفَرْج وَجَبَ الْغُسْل عَلَى الرَّجُل وَالْمَرْأَة ، وَهَذَا لا خِلاف فِيهِ الْيَوْم ، وَقَدْ كَانَ فِيهِ خِلَاف لِبَعْضِ الصَّحَابَة وَمَنْ بَعْدهمْ ، ثُمَّ اِنْعَقَدَ الْإِجْمَاع عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ " انتهى.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: وهذا صريح في وجوب الغسل ، وإن لم ينزل وهذا يخفى على كثير من الناس ، فتجد الزوجين يحصل منهما هذا الشيء ، ولا يغتسلان ، لا سيما إذا كانا صغيرين ولم يتعلما ، وهذا بناء عندهم على عدم وجوب الغسل إلا بالإنزال ، وهذا خطأ. ... (الشرح الممتع)

٢ – اختلف العلماء إذا جامع من وراء حايل على قولين:

القول الأول: يجب الغسل.

لعموم الحديث.

القول الثاني: لا يجب الغسل.

لحديث (إذا التقى الختانان ..) وفي لفظ (إذا مس الختان الختان ..) ومع الحايل لا يحصل مس.

والأول أرجح.

٣– **فإن قيل:** ما الجواب عن حديث (إنما الماء من الماء) فالجواب:

أ– إما أن يكون منسوخ.

وهذا المشهور عند أكثر العلماء، وناسخه :

حديث (إذا جلس بين شعبها الأربع ...).

حديث (إِنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُجَامِعُ أَهْلَهُ ثُمَّ يُكْسِلُ هَلْ عَلَيْهِمَا الْغُسْلُ وَعَائِشَةُ جَالِسَةٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي لأَفْعَلُ ذَلِكَ أَنَا وَهَذِهِ ثُمَّ نَغْتَسِلُ) .

ب–وإما أن يحمل على حالة الاحتلام.

وهو قول ابن عباس.

وقد بوّب على ذلك النسائي، ومال إليه الحافظ ابن حجر، ورجحه الشيخ ابن باز رحمه الله.

قَالَ الْعُلَمَاء : الْعَمَل عَلَى هَذَا الْحَدِيث (إذا جلس بين ...) وَأَمَّا حَدِيث : الْمَاء مِنْ الْمَاء . فَالْجُمْهُور مِنْ الصَّحَابَة وَمَنْ بَعْدهمْ قَالُوا : إِنَّهُ مَنْسُوخ ، وَيَعْنُونَ بِالنَّسْخِ أَنَّ الْغُسْل مِنْ الْجِمَاع بِغَيْرِ إِنْزَال كَانَ سَاقِطًا ثُمَّ صَارَ وَاجِبًا . وَذَهَبَ اِبْن عَبَّاس ﷺ وَغَيْره إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ مَنْسُوخًا بَلْ الْمُرَاد بِهِ نَفْي وُجُوب الْغُسْل بِالرُّؤْيَةِ فِي النَّوْم إِذَا لَمْ يُنْزِل ، وَهَذَا الْحُكْم بَاقٍ بِلَا شَكّ .

٤–إذا استمتع الرجلُ بزوجته، بأن وضع ذَكَره على فرجِها دون إدخال ولا إنزال، فليس عليهما غسل بالإجماع؛ قاله ابن حجر .

٥– فإن أنزل الرجل دون إدخال، فالغسل عليه دون الزوجة.

٦– إذا باشر الرجل زوجته وأنزل المنيَّ في فرجها دون إدخال، فليس على الزوجة غسل، إنما الغسل على الرجل.

قال النووي : إذا استدخلت المرأة المني في فرجها أو دبرها ثم خرج منها، لم يلزمها الغسل، هذا هو الصواب الذي قطع به الجمهور.

.٧– إذا جامع الرجل زوجته، ثم بعد غسلها خرج من فرجها مني الرجل، فليس عليها إعادة الغسل، ولكن الخلاف في الوضوء، والأحوط أن تتوضأ .

٨– إذا جامع الرجلُ زوجته وهي لم تبلغ سنَّ المحيض بعدُ لصغر سنها، فعليهما الغسل، سئل الإمام أحمد عن الغلام يجامع مثلَه ولم يبلغ، يجامع المرأة يكون عليهما جميعًا الغسل؟ قال: نعم، قيل له: أنزل أم لم ينزل؟ قال: نعم، وقال: ترى عائشة حين كان يطؤها النبي ﷺ لم تكن تغتسل! .

٣٩٤ – وعن أَبي سعيد الخدري ﷺ قَالَ (بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، فَجَعَلَ يَصرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رسول الله ﷺ : مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ»، فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ المالِ مَا ذكر حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لاَ حَقَّ لأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ) .

==========

(**مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ**) أي : مركوب فاضل وزائد عن حاجته .

قال الصنعاني –رحمه الله–«فضْل ظَهْر» أقول: الفضْلُ: الزيادةُ، والظَهْر: الإبل التي تُركب .

(**فَلْيَعُدْ بِهِ**) أي : فليتصدق به .

(**عَلَى مَنْ لاَ ظَهرَ لَه**) **قال ابن علان** –رحمه الله–: «فلْيعُد» أي: يتصدقُ «به على» المحتاجِ إليه «مَن لا ظَهْرَ» أي: مركوب «له» كافيًا لحاجته؛ بذلًا لما فضُلَ عن الحاجة في مرضاة الله، فيبقى له بعد أن كان فانيًا.

(**وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ**) وهو ما فَضَل مِن طَعامٍ مِنْه .

١–الحديث دليل على المواساة والإيثار بين المسلمين .

قال القرطبي : وهكذا الحُكم إلى يوم القيامة؛ مهما نزلت حاجةٌ، أو مجاعةٌ، في السفر، أو في الحضر، وجبت المواساةٌ بما زاد على كفاية تلك الحال، وحرُمَ إمساك الفضْل .

قال الصنعاني –رحمه الله– والمراد: مَن كان معه زيادةٌ على ما يحتاجه فليعطه أخاه مواساةً منه، وظاهر الحديث: الإيجاب، وهو الذي فهمه الصحابي، وهذا في سفرِ الجهاد، وهو من الجهاد بالمال .

٢–**قال النووي** –رحمه الله–في هذا الحديث: الحثُّ على الصدقة والجود والمواساة والإحسان إلى الرفقة والأصحاب، والاعتناء بمصالح الأصحاب، وأمرُ كبير القوم أصحابه بمواساة المحتاج ... وفيه: مواساة ابن السبيل والصدقة عليه إذا كان محتاجًا، وإن كان له راحلة وعليه ثيابٌ أو كان موسرًا في وطنه؛ ولهذا يُعطى من الزكاة في هذه الحال –والله أعلم–.

وقال القاضي عياض –رحمه الله–فيه: الترغيب في الصدقة والمواساة ... والصدقة على ابن السبيل وإن كانت له راحلة وليس معه زاد واجبة، وإن كان غنيًّا بموضعه.

٣–جاء في (**الموسوعة الفقهية**) يتفق الفقهاء على أن من ادَّخر شيئًا من الأقوات الضرورية لنفسه أو لعياله، واضطرَّ إليه أحد غيره كان عليه بذله له إن لم يكن محتاجًا إليه حالًا؛ لأن الضرر لا يزال بالضرر، ويأثم بإمساكه عنه مع استغنائه، وإن كانوا قد اختلفوا هل يبذله له بالقيمة أو بدونها ...

دليل وجوب الإخراج في هذه الحال من السنة: ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: من كان عنده فضْل زاد فلْيعُد به على مَن لا زادَ له .

٤– أنَّه يَكفي في حاجةِ المحتاجِ بتَعرُّضِه للعطاءِ، وتَعريضُه مِن غيرِ سُؤالٍ.

٥– مُواساةُ ابنِ السَّبيلِ والصَّدَقةُ عليه إذا كان مُحتاجًا.

٦–**قال محمود السبكي** –رحمه الله– وفي الحديث: بيان ما كان عليه النبي ﷺ من الاعتناء بمصالح أصحابه، وفيه: حثُّ كبير القوم أتباعَهُ على مكارم الأخلاق ومواساة المحتاجين، والأمرُ فيه للنَّدب كسابقه إن لم تدعُ إليه ضرورةٌ، خلافًا لمن أخذ بظاهره فأوجب التصدقَ بما يزيد على الحاجة وإن لم يكن المحتاج إليه مضطرًّا .

٣٩٥-عن جابر ﷺ عن النبي ﷺ قَالَ (طَعَامُ الوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَة يَكْفِي الثَّمَانِية) .

==========

جاء في الصحيحين : عن أبي هريرة . قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ (طَعَامُ الاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلاَثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلاَثَةِ كَافِي الأربَعَةِ) .

١-قوْله: **(وَطَعَام الِاثْنَيْنِ كَاف الثَّلَاثَة)** .

قال العيني : يَعْنِي: مَا يشْبع بِهِ اثْنَان يشْبع ثَلَاثَة وَمَا يشْبع بِهِ ثَلَاثَة يشْبع أَرْبَعَة. قَالَ الْمُهلب: المرَاد بِهَذِهِ الْأَحَادِيث الحض على المكارمة والتقنع بالكفاية يَعْنِي: لَيْسَ المرَاد الْحصْر فِي مِقْدَار الْكِفَايَة وَإِنَّمَا المرَاد الْمُوَاسَاة، وَأَنه يَنْبَغِي للاثنين إِدْخَال ثَالِث لطعامهما وَإِدْخَال رَابِع أَيْضا بِحَسب من يحضر، وَقَالَ ابْن الْمُنْذر: يُؤْخَذ من حَدِيث أبي هُرَيْرَة اسْتِحْبَاب الِاجْتِمَاع على الطَّعَام، وَأَن لَا يَأْكُل الْمَرْء وَحده، فَإِن الْبركَة فِي ذَلِك. قلت: وَقد ذكرنَا أَن الطَّبَرَانِيّ، روى من حَدِيث ابْن عمر: (كلوا جَمِيعًا وَلَا تفَرقُوا) الحَدِيث.

وقال المهلب : المراد بهذه الأحاديث الحض على المكارمة والتقنع بالكفاية يعني وليس المراد الحصر في مقدار الكفاية وإنما المراد المساواة وأنه ينبغي للاثنين إدخال ثالث لطعامهما وإدخال رابع أيضاً بحسب من يحضر ووقع عند الطبراني ما يرشد إلى العلة في ذلك وأوله (كلوا جميعاً ولا تفرّقوا فإن طعام الواحد يكفي الاثنين) الحديث فيؤخذ منه أن الكفاية تنشأ عن بركة الاجتماع وأن الجمع كلما كثر ازدادت البركة وفيه أنه لا ينبغي للمرء أن يستحقر ما عنده فيمتنع من تقديمه .

وقال ابن المنذر : يؤخذ من الحديث استحباب الاجتماع على الطعام وألا يأكل المرء وحده .

٢-الإشارة إلى أن المواساة إذا حصلت حصل معها البركة فتعم الحاضرين .

٣- أنه ينبغي للمرء ألا يستحقر ما عنده فيمتنع من تقديمه فإن القليل قد يحصل به الاكتفاء بمعنى سدّ الرمق وإقامة البنية لا حقيقة الشبع ..

٤-**قال النووي** : هَذَا فِيهِ الْحَثُّ عَلَى الْمُوَاسَاةِ فِي الطَّعَامِ وَأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا حَصَلَتْ مِنْهُ الْكِفَايَةُ الْمَقْصُودَةُ وَوَقَعَتْ فِيهِ بَرَكَةٌ تَعُمُّ الْحَاضِرِينَ عَلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

٥-من أسباب بركة الطعام :

التسمية :

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: (كان النبي ﷺ يأكل الطعام في ستة من أصحابه، فجاء أعرابيٌّ، فأكله بلقمتين، فقال رسول الله ﷺ لو سمَّى لكفاكم) .

الحكمة من التسمية قبل الطعام هي منع الشيطان من أن يأكل مع الإنسان؛ فتُنزع البركة منه، فيكون الطعام الذي يظن أنه يكفيه لا يكفيه، ويدل على هذا حديث حذيفة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال (إن الشيطان يستحل الطعام ألَّا يُذكر اسم الله عليه)، فإذا لم يذكر اسم الله عليه، استطاع الشيطان أن ينال منه.

الاجتماع على الطعام .

عن وحشي بن حرب ﷺ (أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، إنا نأكل ولا نشبع؟ قال: فلعلكم تفترقون؟ قالوا: نعم، قال: فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله، يبارك لكم فيه) .

الأكل من جانب القصعة، وعدم الأكل من وسطها .

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال (البركة تنزل وسط الطعام، فكلوا من حافتيه، ولا تأكلوا من وسطه) .

وفي رواية (إذا أكل أحدكم طعامًا، فلا يأكل من أعلى الصَّحفة، ولكن ليأكل من أسفلها؛ فإن البركة تنزل من أعلاها) .

٣٩٦-عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ . قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا. إِلاَّ أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا ». قَالَتْ فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ فَقُلْتُ إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ. فَقَالَ « أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا وَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ) .

==========

(**عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ**) هند بنت أبي أميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن المغيرة بن مخزوم المخزوميّة، أم المؤمنين، تزوّجها النبيّ ﷺ بعد أبي سلمة سنة أربع، أو ثلاث، وعاشت بعد ذلك ستين سنةً، وماتت – رضي الله عنها – (٦٢) .

(**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ**) هو مطلق في أي مصيبة في الأديان، والأبدان، والأموال .

(**إِنَّا لِلَّهِ**) ملكاً وخلقاً .

(**وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**) أي : في الآخرة .

(**اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي**) معنى آجره الله : أعطاه أجره وجزاء صبره .

(**وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا**) أي: اجعل لي خَلَفًا مما فات عني في هذه المصيبة خيرًا من الفائت فيها .

إِلاَّ أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا) أي: عوّضه الله تعالى خيرًا من تلك المصيبة .

(**قَالَتْ فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ**) زوجها ، عبد الله بن عبد الأسد بن هلال ... وكان أخا النبيّ ﷺ من الرضاعة، وهاجر الهجرتين، وشَهِد بدرًا، وتُوُفِّي بالمدينة في حياة النبيّ ﷺ مَرْجِعه من بدر، فتزوج النبيُّ ﷺ بزوجته أم سلمة .

(**قُلْتُ**) في نفسي ، **قال الزرقاني** –رحمه الله– (قلت) أي: قالته في نفسها، ولم تحرك به لسانها، ولا أنكرت أنه ﷺ قال حقًّا، ولكن هو شيء يخطر بالقلب وليس أحد معصومًا منه، ولو قال ذلك قائل لمنع العوض كما يمنع الذي يعجل بدعائه الإجابة، قاله أبو عبد الملك .

(**أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ**) وفي رواية (قلت: من خير من أبي سلمة، صاحب رسول الله ﷺ) والاستفهام للإنكار؛ أي: لا أحد من المسلمين خيرٌ منه، وهذا في تقديرها.

(**أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ**) يعني للمدينة .

(**ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا**) الدعاء المذكور .

(**فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ**) أي: بأن جعلني زوجته، وكان عِوَضَ خير لي من زوجي أبي سلمة رضي الله عنه .

(**قَالَتْ أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ**) الصحابي الجليل .

(**يَخْطُبُنِي لَهُ فَقُلْتُ إِنَّ لِي بِنْتًا**) وهي زينب بنت أبي سلمة .

(**وَأَنَا غَيُورٌ**) أي: كثيرة الغيرة، وهي تؤدّي إلى عدم الوفاء بحقوق الزوجيّة، و"الغيرة": كراهة الشخص اشتراك غيره فيما هو حقّه.

(**وَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ**) أي : يزيلها عنك .

١–الحديث دليل على استحباب قول هذا الدعاء عند المصيبة .

وقد تضمنت هذه الكلمة: (إنا لله وإنا إليه راجعون) علاجًا من الله ورسوله لأهل المصائب.

فإنها من أبلغ علاج المصائب وأنفعه للعبد في عاجله وآجله، فإنها تتضمن أصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما وتسلى عن مصيبته.

أحد الأصلين: أن يتحقق العبد أن نفسه وأهله وماله وولده ملك لله عز وجل حقيقةً، وقد جعله الله عند العبد عارية فإذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ عاريته من المستعير، وأيضًا: فإنه محفوف بعدمين عدم قبله وعدم بعده، وملك العبد له متعة معارة في زمن يسير، وأيضًا: فإنه ليس هو الذي أوجده من عدم، حتى يكون ملكه حقيقةً ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده فليس له فيه تأثير ولا ملك حقيقي.

وأيضًا فإنه متصرف فيه بالأمر، تصرف العبد المأمور المنهي، لا تصرف الملاك، ولهذا لا يباح له من التصرفات فيه إلا ما وافق أمر مالكه الحقيقي.

والثاني: أن مصير العبد ومرجعه الى الله مولاه الحق، ولابد أن يخلف الدنيا وراء ظهره، ويأتي ربه يوم القيامة فردًا، كما خلقه أول مرة، بلا أهل ولا مال ولا عشيرة، ولكن يأتيه بالحسنات والسيئات.

فإذا كانت هذه بداية العبد وما حوله، ونهايته وحاله فيه فكيف يفرح العبد بولد أو مال أو غير ذلك من متاع الدنيا؟

أم كيف يأسى على مفقود؟

ففكرة العبد في بدايته ونهايته من أعظم علاج المصائب، ومن علاجه أن يعلم علم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

٢-قال تعالى (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) .

(الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ) من موت قريب أو هلاك مال أو غيرها من المصائب.

(قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) أي: تسلوا بقولهم هذا عما أصابهم، وعلموا أنهم ملك لله يتصرف في عبيده بما يشاء، وعلموا أنه لا يضيع لديه مثقال ذرة يوم القيامة، فأحدث لهم ذلك اعترافهم بأنهم عبيده، وأنهم إليه راجعون في الدار الآخرة.

قال الطبري: يعني تعالى: وبشر يا محمد الصابرين الذين يعلمون أن جميع ما بهم من نعمة فمني، فيقرون بعبوديتي، ويوحدوني بالربوبية، ويصدقون بالمعاد والرجوع إلي، فيستسلمون لقضائي، ويرجون ثوابي، ويخافون عقابي، ويقولون – عند امتحاني إياهم ببعض محني – إنا مماليك ربنا ومعبودنا أحياء، ونحن عبيده وإنا إليه بعد مماتنا صائرون، تسليماً لقضائي ورضاً بأحكامي.

وقال القرطبي: جعل الله تعالى هذه الكلمات ملجأ لذوي المصائب، وعصمة للممتَحنين؛ لما جمعت من المعاني المباركة؛ فإن قوله: "إِنَّا لِلَّهِ" توحيد وإقرار بالعبودية والملك. وقوله (وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعونَ) إقرار بالهلْك على أنفسنا والبعث من قبورنا؛ واليقين أن رجوع الأمر كله إليه كما هو له. قال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى: لم تعط هذه الكلمات نبيًّا قبل نبيّنا، ولو عرفها يعقوب لما قال: يا أسَفي على يوسف...).

(أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ) أي: ثناء عليهم من ربهم في الملأ الأعلى.

(وَرَحْمَةٌ) عطفها على الصلوات من باب عطف العام على الخاص، لأن الثناء عليهم في الملأ الأعلى من الرحمة.

(وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) أي: الذين اهتدوا إلى طريق الحق، فإن هذا الكلام الذي يقولونه مع الصبر هو الهداية.

قال ابن عبد البر –رحمه الله–في هذا الحديث: تعليم ما يقال عند المصيبة، وهو قول لا ينبغي لمن أصيب بمصيبة في مال أو حَمِيْمٍ (يعني: صديق) أن يحيد عن ذلك، وعليه أن يفزع إليه تأسيًا بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ .

وقال القرطبي : قوله (إنا لله وإنا إليه راجعون) كلمة اعتراف بالملك لمستحقه، وتسليم له فيما يجريه في ملكه، وتهوين للمصيبات بتوقع ما هو أعظم منها، وبالثواب المرتب عليها، وتذكير المرجع والمآل الذي حكم به ذو العزة والجلال .

وقال ابن علان –رحمه الله– (لله) ملكًا وخلقًا، فيتصرف فينا كيف يشاء، فالكل عَوَارٍ (جمع عارية) مستردة، كما أشار إليه بقوله: (وإنا إليه راجعون) فعلينا الصبر على المصائب، وتدبُّر حقائق هذه الآية ليسهل علينا مزاولة كل ما أصابنا، وليس فائدة الأمر للمصاب قول هذا الذكر بمجرد لفظه؛ لأنه لا ينفع وحده، وإنما فائدته مع تدبره حق التدبر، فإنه الدواء النافع الحامل على كمال الصبر؛ بل وحقائق الرضا . (دليل الفالحين)

٣–**قال النووي** –رحمه الله– (فيقول: ما أمره الله –عز وجل– إنا لله وإنا إليه راجعون) فيه: فضيلة هذا القول، وفيه: دليل للمذهب المختار في الأصول أن المندوب مأمور به؛ لأنه –صلى الله عليه وسلم– مأمور به مع أن الآية الكريمة تقتضي ندبه، وإجماع المسلمين منعقد عليه.

قال القرطبي –رحمه الله–هذا تنبيه على قوله تعالى (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) مع أنه ليس فيها أمر بذلك القول، وإنما تضمنت مدح من قاله؛ فيكون ذلك القول مندوبًا، والمندوب مأمور به، أي: مطلوب ومقتضىً، وإن سُوِّغَ تركه، وقال أبو المعالي: لم يختلف الأصوليون أن المندوب مقتضىً ومطلوب، وإنما اختلفوا هل يسمى: مأمورًا به؟ قلتُ: وهذا الحديث يدل على أنه يسمى بذلك. (المفهم)

٤–**قال ابن القيم** معلقا على الحديث: فانظر عاقبة الصبر والاسترجاع ومتابعة الرسول والرضا عن الله إلى ما آلت إليه، وأنالت أم سلمة نكاح أكرم الخلق على الله . (عدة الصابرين)

٥–التعويض المذكور في الحديث (إلا أخلف الله له خيرا منها)، فهذه قد يكون من جنس ما فات الإنسان، ولكنه خير منه. كما وقع لأم سلمة حينما قالته فأخلف الله عليها بزواجها من رسول الله ﷺ .

وقد يكون العوض والخلف بأمر آخر هو خير مما فات سواء في الدنيا أو في الآخرة.

قال ابن الملك رحمه الله (وأخلف لي) – بقطع الهمزة – "خيراً منها"؛ أي: عوِّضني خيراً مما فاتني في هذه المصيبة.

(إلا أخلف الله له خيراً منها) في الدنيا والآخرة .

٦–أهل السخط يقولون خلاف أهل الإيمان .

كما قال تعالى عن اليهود: (وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ) وقال تعالى عن المنافقين: (وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ) وقال تعالى عن عموم الناس: (وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ) .

٧–تقرير مبدأ الإيمان باليوم الآخر.

٨– فضيلة اتباع هدي النَّبِي ﷺ .

٩– فضل قول العبد عند المصيبة: إنا لله وإنا إليه راجعون .

١٠– الله عز وجل لا يُقَدِّر شيئًا إلا لحكمةٍ.

١١– حرص النَّبِي ﷺ على تعليم أصحابه ﷺ ما يقال في السراء والضراء.

١٢– ينبغي للإنسان أن يتذكر دائمًا أنه راجع إلى الله سبحانه وتعالى.

١٣–ضرورة امتثال المؤمن لأمر النبي ﷺ وإن لم تظهر له الحكمة من أمره.

١٤-الخير كله في امتثال المؤمن لأمر النبي ﷺ .

٣٩٧- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ (دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ فَأَغْمَضَهُ ثُمَّ قَالَ « إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ ». فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ فَقَالَ « لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ بِخَيْرٍ فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ ». ثُمَّ قَالَ « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ. وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ) .

وفي رواية (إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ أَوِ الْمَيِّتَ فَقُولُوا خَيْرًا فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ) .

==========

(دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ) أي : انفتح .

(إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ) معناه إذا خرج الروح من الجسد يتبعه البصر ناظرًا أين يَذْهَب .

(لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ بِخَيْرٍ) أي: لا تدعوا بالويل والثبور على عادة الجاهليّة .

(فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ) أي: في دعائكم من خير أو شرّ .

(وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ) يعني كن خليفة له في أولاده الباقين، فاحفظ أمورهم، ومصالحهم، ولا تكلهم إلى غيرك.

(وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ) أي : وسّع له في قبره .

(إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ أَوِ الْمَيِّتَ) ووقع في رواية أبي داود، والنسائيّ، والبيهقيّ، بلفظ (إِذَا حَضَرْتُمُ الميت) .

قال السندي –رحمه الله– قوله (إذا حضر) على بناء المفعول، أي: إذا حضره مقدمات الموت أو ملائكته .

(فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ) المراد بالملائكة، ملك الموت، وأعوانه، أو عموم الملائكة الذين يحضرون الميت، وهذا أولي، لما أخرجه النسائيّ من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: "إذا حُضِر المؤمنُ أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء ... وإذا احتضر الكافر أتته ملائكة العذاب بِمِسْحٍ ... .

١-الحديث دليل على استحباب تغميض الميت إذا مات .

قال النوويُّ: قولها: (فأغْمَضَه) دليلٌ على استحبابِ إغماضِ الميّت، وأجمع المسلمونَ على ذلك .

وقال أيضًا: ويتضمَّنُ الحديثُ الحضورَ عند المحتَضَر؛ لتذكيرِه وتأنيسِه، وإغماضِ عينيه، والقيامِ بحقوقِه، وهذا مُجمَعٌ عليه .

وقال الصنعاني: وفي إغماضِه ﷺ طَرْفَه؛ دليلٌ على استحبابِ ذلك، وقد أجمعَ عليه المسلمونَ .

جاء في (**الموسوعة الفقهية**) اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى اسْتِحْبَابِ تَغْمِيضِ عَيْنَيِ الْمَيِّتِ بَعْدَ ثُبُوتِ مَوْتِهِ .

٢-الحكمة من ذلك :

قال النووي: أن لا يقبح بمنظره لو ترك إغماضه.

وقال ابن قدامة: لأن الميت إذا كان مفتوح العينين والفم فلم يغمض حتى يبرد بقي مفتوحاً فيقبح منظره، ولا يؤمن دخول الهوام فيه والماء في وقت غسله.

جاء في (**الموسوعة الفقهية**) وَلأَنَّ الْمَيِّتَ إِذَا كَانَ مَفْتُوحَ الْعَيْنَيْنِ فَلَمْ يُغْمَضْ حَتَّى يَبْرُدَ بَقِيَ مَفْتُوحًا فَيَقْبُحُ مَنْظَرُهُ.

٣-**قال النووي** -رحمه الله-فيه الندب إلى قول الخير حينئذٍ من الدعاء والاستغفار له، وطلب اللطف به، والتخفيف عنه ونحوه، وفيه حضور الملائكة حينئذٍ وتأمينهم. .

٤-**قال محمود السبكي** -رحمه الله-دلَّ الحديث على أَنه يُطلب ممن حضر عند ميت أَن يدعو له بالمغفرة ولأهله بحسن العاقبة، وعلى فضل أُمّ سلمة وحسن يقينها بالله وكمال إيمانها بما جاء به النبي ﷺ .

٥-تقرير مبدأ الإيمان باليوم الآخر.

٦- تقرير مبدأ الإيمان بعذاب القبر ونعيمه.

٧- الأَوْلى عند الدُّعَاء أن يبدأ الداعي بنفسه ثم يدعو لمن شاء.

أ-عن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ). رواه البخاري ومسلم.

قالَ الحافظ ابن حجر العسقلاني - رحمه الله -: قوله (السلام علينا) استُدل به على استحباب البداءة بالنفس في الدعاء، وفي الترمذي مصححا من حديث أبي بن كعب (أن رسول الله ﷺ كان إذا ذكر أحداً فدعا له بدأ بنفسه) وأصله في مسلم، ومنه قول نوح وإبراهيم عليهما السلام، كما في التنزيل." فتح الباري.

ب- حديث ابن عباس الطويل في قصة موسى والخضر عليهما السلام - وهو الذي أشار إليه الحافظ أنه في الترمذي وأصله في "مسلم" -، وفيه: فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غِلْمَانًا يَلْعَبُونَ قَالَ فَانْطَلَقَ إِلَى أَحَدِهِمْ بَادِيَ الرَّأْيِ فَقَتَلَهُ فَذُعِرَ عِنْدَهَا مُوسَى عليه السلام ذَعْرَةً مُنْكَرَةً قَالَ: أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ هَذَا الْمَكَانِ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى مُوسَى، لَوْلَا أَنَّهُ عَجَّلَ لَرَأَى الْعَجَبَ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَتْهُ مِنْ صَاحِبِهِ ذَمَامَةٌ، قَالَ: إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا، وَلَوْ صَبَرَ لَرَأَى الْعَجَبَ، قَالَ: وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ أَحَداً مِنْ الْأَنْبِيَاءِ بَدَأَ بِنَفْسِهِ " رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى أَخِي ".

ذمامة: أي: حياء وإشفاق من الذم واللوم؛ لتكرار مخالفته للخضر.

قال النووي - رحمه الله -: قال أصحابنا: فيه استحباب ابتداء الإنسان بنفسه في الدعاء، وشبهه من أمور الآخرة، وأما حظوظ الدنيا: فالأدب فيها الإيثار، وتقديم غيره على نفسه.

وقال السيوطي - رحمه الله -: ومن ثم ندبوا للداعي أن يبدأ بالدعاء لنفسه قبل دعائه لغيره؛ فإنه أقرب إلى الإجابة، إذ هو أخلص في الاضطرار، وأدخل في العبودية، وأبلغ في الافتقار، وأبعد عن الزهو والإعجاب، وذلك سنة الأنبياء والرسل ... - وساق بعض أدعيتهم، وستأتي -.

ج-عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقُبُورِ الْمَدِينَةِ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ أَنْتُمْ سَلَفُنَا وَنَحْنُ بِالْأَثَرِ) رواه الترمذي.

قال الإمام الصنعاني - رحمه الله - في فوائد هذا الحديث ورواية أخرى قريبة من لفظه -: وفي الحديثين الأول وهذا: دليل أنَّ الإنسان إذا دعا لأحد أو استغفر له يبدأ بالدعاء لنفسه والاستغفار لها، وعليه وردت الأدعية القرآنية: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا) (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِك وَلِلْمُؤْمِنِينَ) وغير ذلك.

د-وهذا الفعل هو من هدي الأنبياء عليهم السلام، ومنهم:

نبي الله موسى عليه السلام:

(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) .

نبي الله نوح عليه السلام :

(رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً).

نبيَّا الله إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام :

(رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

نبي الله إبراهيم عليه السلام :

(رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ. رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ).

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) .

وهو فعل المؤمنين :

(وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ).

٨- الإيمان بالملائكة.

٩- من وظائف الملائكة: أن منهم ملائكة موكلة بقبض الأرواح.

١٠-حرص النَّبِي ﷺ على دخول أصحابه رضي الله عنهم الجنة.

١١-حرص النَّبِي صلى الله عليه وسلم على تعليم أمته وعنايته بهم.

٣٩٨-عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ يَوْمًا فَذَكَرَ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِهِ قُبِضَ فَكُفِّنَ فِي كَفَنٍ غَيْرِ طَائِلٍ وَقُبِرَ لَيْلاً فَزَجَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُقْبَرَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهِ إِلاَّ أَنْ يُضْطَرَّ إِنْسَانٌ إِلَى ذَلِكَ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِذَا كَفَّنَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحَسِّنْ كَفَنَهُ) .

==========

١-الحديث دليل على وجوب تحسين كفن الميت.

قال البغوي: المراد بتحسين الكفن هو البياض والنظافة لا كونه ثميناً.

قال العلماء: والمراد بإحسان الكفن، نظافته وكثافته وستره وتوسطه، وليس المراد به السرف فيه والمغالاة ونفاسته.

وقد قال بعض العلماء: المراد بتحسين الكفن هو طلب الشيء الثمين.

والأول أرجح.

تنبيه :

قال الألباني: وأما اشتراط النووي في المجموع كونه من جنس لباسه في الحياة لا أفخر منه ولا أحقر، ففيه نظر عندي، إذ كون مما لا دليل عليه، فقد يكون لباسه في الحياة نفيساً أو حقيراً، فكيف يجعل كفنه من جنس ذلك؟

٢-استدل بالحديث من كره الدفن ليلاً ، وقد اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين :

القول الأول : الجواز .

هذا قول الجمهور.

قال النووي: وهذا هو قول جماهير العلماء من السلف والخلف.

أ- لحديث ابْنِ عَبَّاسٍ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِقَبْرٍ قَدْ دُفِنَ لَيْلاً فَقَالَ «مَتَى دُفِنَ هَذَا». قَالُوا الْبَارِحَةَ. قَالَ: أَفَلاَ آذَنْتُمُونِي، قَالُوا دَفَنَّاهُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ فَكَرِهْنَا أَنْ نُوقِظَكَ. فَقَامَ فَصَفَفْنَا خَلْفَهُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَنَا فِيهِمْ فَصَلَّى عَلَيْه) رواه البخاري.

وجه الدلالة: أن النبي ﷺ لم ينكر على الصحابة دفنهم إياه بالليل، وإنما أنكر عليهم عدم إعلامهم بأمره.

ب-ولحديث أبي هريرة ﷺ قال (أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد -وفي رواية: كانت تلتقط الخرق والعيدان من المسجد- ففقدها رسول الله ﷺ فسأل عنها فقالوا: ماتت، قال: أفلا كنتم آذنتموني؟ قال: فكأنهم صغروا أمرها، وفي رواية: قالوا: ماتت من الليل ودفنت فكرهنا أن نوقظك، فقال: دلوني على قبرها، فدلوه فصلى عليها ثم قال: إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها وإن الله عز وجل ينورها لهم بصلاتي عليهم) متفق عليه، والرواية التي فيها وجد الشاهد عند البيهقي.

ووجه الدلالة: كسابقه من حيث إقرار النبي ﷺ وعدم إنكاره على الصحابة الدفن بالليل.

قال ابن عبد البر: في الحديث دليل واضح على جواز الدفن بالليل.

ج-أن النبي ﷺ دفن ليلاً.

عن عائشة قالت (ما علمنا بدفن النبي ﷺ حتى سمعنا صوت المساحي من آخر الليل ليلة الأربعاء ...) رواه أحمد.

قال الطحاوي: ... وهذا بحضرة أصحاب النبي ﷺ لا ينكره أحد منهم.

د-أن أبا بكر ﷺ دفن ليلاً.

عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ (دَخَلْتُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ﷺ فَقَالَ فِي كَمْ كَفَّنْتُمُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَتْ فِي ثَلاَثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلاَ عِمَامَةٌ. وَقَالَ لَهَا فِي أَيِّ يَوْمٍ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ. قَالَ فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا قَالَتْ يَوْمُ الاِثْنَيْنِ. قَالَ أَرْجُو فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّيْلِ. فَنَظَرَ إِلَى ثَوْبٍ عَلَيْهِ كَانَ يُمَرَّضُ فِيهِ، بِهِ رَدْعٌ مِنْ زَعْفَرَانٍ فَقَالَ اغْسِلُوا ثَوْبِي هَذَا، وَزِيدُوا عَلَيْهِ ثَوْبَيْنِ فَكَفِّنُونِي فِيهَا. قُلْتُ إِنَّ هَذَا خَلَقٌ. قَالَ إِنَّ الْحَيَّ أَحَقُّ بِالْجَدِيدِ مِنَ الْمَيِّتِ، إِنَّمَا هُوَ لِلْمُهْلَةِ. فَلَمْ يُتَوَفَّ حَتَّى أَمْسَى مِنْ لَيْلَةِ الثُّلاَثَاءِ وَدُفِنَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِح) رواه البخاري.

هـ- أن فاطمة دُفنت بالليل.

عَنْ عَائِشَةَ (أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ النَّبِيِّ ﷺ أَرْسَلَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْمَدِينَةِ وَفَدَكَ، وَمَا بَقِيَ مِنْ خُمُسِ خَيْبَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «لاَ نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي هَذَا الْمَالِ». وَإِنِّي وَاللَّهِ لاَ أُغَيِّرُ شَيْئاً مِنْ صَدَقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ حَالِهَا الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلأَعْمَلَنَّ فِيهَا بِمَا عَمِلَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَدْفَعَ إِلَى فَاطِمَةَ مِنْهَا شَيْئاً فَوَجَدَتْ فَاطِمَةُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فِي ذَلِكَ فَهَجَرَتْهُ، فَلَمْ تُكَلِّمْهُ حَتَّى تُوُفِّيَتْ، وَعَاشَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ، دَفَنَهَا زَوْجُهَا عَلِيٌّ لَيْلاً) متفق عليه.

و - أن ابن مسعود ﷺ دفن ليلاً . أخرجه ابن أبي شيبة.

قال ابن قدامة: وَمِمَّنْ دُفِنَ لَيْلًا: عُثْمَانُ، وَعَائِشَةُ، وَابْنُ مَسْعُودٍ.

القول الثاني : أنه لا يجوز إلا لضرورة.

وهذا مذهب ابن حزم.

لحديث الباب .

والراجح قول الجمهور .

وأما الجواب عن حديث الباب :

قيل: إن النهي الوارد في الحديث إنما هو عن دفن الميت قبل الصلاة عليه ويدل عليه (.. فزجر النبي ... حتى يصلى عليه).

وقيل: إن النهي في الحديث عن الدفن ليلاً ليس لذات الدفن، وإنما لما يترتب عليه من قلة المصلين، فإن الدفن بالنهار يحضره كثير من الناس ويصلون عليه، ولا يحضره في الليل إلا أفراد.

وقيل: إن النهي عن الدفن في الليل إنما كان لما يترتب عليه من إساءة الكفن، لأن الدفن ليلاً مظنة إساءة الكفن ورداءته.

قال ابن قدامة: وَحَدِيثُ الزَّجْرِ مَحْمُولٌ عَلَى الْكَرَاهَةِ وَالتَّأْدِيبِ؛ فَإِنَّ الدَّفْنَ نَهَارًا أَوْلَى؛ لِأَنَّهُ أَسْهَلُ عَلَى مُتَّبِعِهَا، وَأَكْثَرُ لِلْمُصَلِّينَ عَلَيْهَا، وَأَمْكَنُ لِإِتْبَاعِ السُّنَّةِ فِي دَفْنِهِ وَإِلْحَادِهِ.

قال ابن القيم – رحمه الله – والذي ينبغي أن يقال في ذلك والله أعلم، أنه متى كان الدفن ليلًا لا يفوت به شيء من حقوق الميت، والصلاة عليه، فلا بأس به، وعليه تدل أحاديث الجواز، وإن كان يفوت بذلك حقوقه والصلاة عليه وتمام القيام عليه، نُهي عن ذلك، وعليه يدل الزجر. وبالله التوفيق .

٣٩٩–عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ) .

==========

١ – الحديث دليل على فضل الصدقة وأنها سبب لزيادة المال.

مسائل وفوائد تتعلق بالصدقة :

فائدة : ١

معنى (مَا نَقَصَتْ صَدقةٌ مِن مَالٍ) .

قال القاضي عياض –رحمه الله– (مَا نَقَصَتْ صَدقةٌ مِن مَالٍ) فيه وجهان:

أحدهما: أنَّه بِقَدر ما نَقص منه يزيده الله فيه ويُنَمِّيْهِ وَيُكَثِّرُهُ.

والثاني: أنَّه وإن نَقص في نفسه ففي الثواب والأجر عنها ما يجبر ذلك النقص بإضعافه.

وقال ابن عبد البر –رحمه الله–: معنى قوله: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ» أي: لا تُنقِصُ الصَّدقةُ المالَ؛ لأنَّه مالٌ مباركٌ فيه، إذا أُدِّيَتْ زكاتُهُ، وتطَوَّع منه صاحبُهُ؛ لأنَّ الصدقة تُضَاعَف إلى سبعِمَائَةِ ضِعفٍ، ويجدها صاحبُها وقت الحاجة إليها كجَبَل أحُدٍ مُضاعفةً أضْعَافًا كثيرةً؛ فأيُّ نقصانٍ مع هذا؟

وقال النووي –رحمه الله– (ما نَقَصَتْ صدقةٌ من مالٍ) ذَكروا فيه وجهين:

أحدهما: معناه: أنَّه يُبَارَك فيه، ويَدفع عنه المضَرَّات؛ فَينجَبِر نَقص الصورةِ بالبركةِ الخَفِيَّةِ، وهذا مُدرَكٌ بالحِسِّ والعادة.

والثاني: أنَّه وإن نَقصَت صُورته كان في الثَّواب المرَتَّب عليه جَبرٌ لِنَقصه، وزيادةٌ إلى أضعافٍ كثيرةٍ.

وقال الباجي –رحمه الله– قوله: (ما نَقَصَتْ صدقةٌ من مالٍ) يريد –والله أعلم–: أنَّ الصَّدقة لا تُنقِص المال؛ لأن ما يُنفَق في الصَّدقة فالعِوَض عنه مِن الأجر، وهو مع ذلك سَبَبٌ لِتنميةِ المالِ وحفظه.

وقال الصنعاني –رحمه الله–: فَسَّر العُلماء عدم النَّقص بمعنيين:

الأول: أنَّه يُبَارك له فيه ويُدفع عنه الآفات، فيجبَر نَقص الصورة بالبركة الخفية.

والثاني: أنَّه يَحصُل بالثَّواب الحاصِل عن الصَّدقة جُبرَان نَقص عَينها، فكأنَّ الصَّدقة لم تُنقِص المالَ؛ لِمَا يَكتُب الله من مضاعفة الحسنة إلى عشر أمثالها إلى أضعَافٍ كثيرةٍ.

قلتُ: والمعنى الثالث: أنَّه تعالى يُخلِفُها بِعِوَضٍ يظهر به عدم نَقص المال، بل ربما زادته، ودليله: قوله تعالى (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) وهو مجرَّبٌ محسوسٌ.

وقال صفي الرحمن المباركفوري –رحمه الله– قوله (ما نَقَصَتْ صدقةٌ من مالٍ) لأن ما نقص بالصدقة يخلفه الله ببدل من عنده، قال تعالى: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} ولأن ما يبقى بعد الصدقة يبارك الله فيه؛ حتى يقوم القليل مقام الكثير، فينجبر النقص الظاهر بالبركة الخفية، يضاف إلى ذلك الأجر المرتَّب على الصدقة في الدنيا؛ من احترام الناس وإكرامهم وتقديرهم للمُتصدِّق، والذي يترتَّب في الآخرة من الأضعاف المضاعفة في الثواب، فالصدقة بجنب كل هذا الكسب كأنها ليست بشيء، وأنَّ العائد أكثر مما أنفق وتصدَّق.

فائدة : ٢

فضائل الصدقة :

الصدقة فضلها عظيم، وأجرها كبير، وجاءت النصوص الكثيرة في فضلها:

أولاً: أنها برهان على صدق إيمان صاحبها.

لحديث أبي مالك الأشعري. قال: قال ﷺ (والصدقة برهان) رواه مسلم.

قال ابن رجب: وأما الصدقة فهي برهان، ... فكذلك الصدقة برهان على صحة الإيمان.

ثانياً: أنها تطهير للنفس.

كما قال تعالى (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ).

ثالثاً: أنها تزيد المال.

قال ﷺ (ما نقصت صدقة من مال) رواه مسلم.

رابعاً: أنها تظلل صاحبها يوم القيامة.

كما في الحديث (العبد في ظل صدقته يوم القيامة) رواه ابن حبان.

خامساً: مغفرة الذنوب:

وفي الحديث (والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار) رواه الترمذي.

سادساً: يكون في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله.

كما في حديث (وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ).

سابعاً: سبب للنجاة من النار.

كما قال ﷺ للنساء (تصدقن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار) متفق عليه.

وقال ﷺ (اتقوا النار ولو بشق تمرة) متفق عليه.

ثامناً: أن الله يضاعفها ولو كانت قليلة.

كما قال تعالى (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ).

وقال ﷺ (إن الله يربي الصدقة كما يربي أحدكم فلوه) متفق عليه.

عن أبي هُرَيْرَةَ قال. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ – وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ – إِلاَّ أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ) متفق عليه.

تاسعاً: درجة البر (الجنة) تنال بالإنفاق:

كما قال تعالى (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ).

وكان ابن عمر إذا أعجبه شيء من ماله تصدق به.

عاشراً: صاحب الصدقة موعود بالخلف.

كما قال تعالى (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) أي يخلفه عليكم في الدنيا بالبذل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب.

الحادي عشر: سبب لدعاء الملائكة.

قال ﷺ (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً) متفق عليه.

الثاني عشر: أن فيها انشراح الصدر، وراحة القلب وطمأنينته.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَثَلَ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ قَدِ اضْطُرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَى ثُدَيِّهِمَا وَتَرَاقِيهِمَا فَجَعَلَ الْمُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ انْبَسَطَتْ عَنْهُ حَتَّى تُغَشِّيَ أَنَامِلَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ وَجَعَلَ الْبَخِيلُ كُلَّمَا هَمَّ بِصَدَقَةٍ قَلَصَتْ وَأَخَذَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا» قَالَ فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ بِإِصْبَعِهِ فِي جَيْبِهِ فَلَوْ رَأَيْتَهُ يُوَسِّعُهَا وَلاَ تَوَسَّع) متفق عليه.

الثالث عشر: الفضل الكبير.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَال (بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتاً فِي سَحَابَةٍ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ. فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ قَالَ فُلاَنٌ. لِلاِسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتاً فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ لِاسْمِكَ فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا قَالَ أَمَّا إِذَا قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثاً وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَه) رواه مسلم.

الرابع عشر : أن فيها علاجاً من الأمراض.

روي عنه ﷺ أنه قال (داووا مرضاكم بالصدقة).

قال ابن شقيق (سمعت ابن المبارك وسأله رجل: عن قرحةٍ خرجت في ركبته منذ سبع سنين، وقد عالجها بأنواع العلاج، وسأل الأطباء فلم ينتفع به، فقال: اذهب فاحفر بئراً في مكان حاجة إلى الماء، فإني أرجو أن ينبع هناك عين ويمسك عنك الدم، ففعل الرجل فبرأ).

الخامس عشر : أن الله يدفع بالصدقة أنواعاً من البلاء.

كما في وصية يحيى عليه السلام لبني إسرائيل (وآمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه فقال: أنا أفتدي منكم بالقليل والكثير، ففدى نفسه منهم).

فالصدقة لها تأثير عجيب في دفع أنواع البلاء ولو كانت من فاجرٍ أو ظالمٍ، بل من كافر، فإن الله تعالى يدفع بها أنواعاً من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم وأهل الأرض مقرون به لأنهم قد جربوه. (الوابل الصيب).

السادس عشر : أنه لا يبقى لصاحب المال من ماله إلا ما تصدق به.

كما في قوله تعالى (ومَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُم).

ولما سأل النبي ﷺ عائشة عن الشاة التي ذبحوها ما بقي منها؟ قالت: ما بقي منها إلا كتفها، قال (بقي كلها غير كتفها). رواه الترمذي

فائدة : ٣ .

وقد أمر الله تعالى بالصدقة قبل قيام القيامة الصغرى وقبل الكبرى:

قبل القيامة الكبرى :

فقال تعالى (وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ).

وقبل القيامة الصغرى. (الموت) .

فقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ).

فائدة : ٤

وقد جاء الأمر بالصدقة والحرص عليها والمبادرة بها قبل أن لا يوجد من يقبلها.

عن حَارِثَة بْن وَهْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ (تَصَدَّقُوا فَإِنَّهُ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يَمْشِي الرَّجُلُ بِصَدَقَتِهِ فَلاَ يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا يَقُولُ الرَّجُلُ لَوْ جِئْتَ بِهَا بِالأَمْسِ لَقَبِلْتُهَا فَأَمَّا الْيَوْمَ فَلاَ حَاجَةَ لِي بِهَا) متفق عليه.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ (لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ وَحَتَّى يَعْرِضَهُ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ لاَ أَرَبَ لِي) متفق عليه.

وعَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ ثُمَّ لاَ يَجِدُ أَحَدًا يَأْخُذُهَا مِنْهُ وَيُرَى الرَّجُلُ الْوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً يَلُذْنَ بِهِ مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ) متفق عليه.

فائدة : ٥

وينبغي عدم احتقار القليل من الصدقة وغيرها، لأنها تربو عند الله حتى تكون كالجبل .

كما جاء في حديث أبي هريرة. قال: قال ﷺ (من تصدق بعدل تمرة، من كسب طيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه، فتربو في كف الرحمن، حتى تكون أعظم من الجبل).

وقال ﷺ (اتقوا النار ولو بشق تمرة) .

فائدة : ٦

معنى ﷺ (كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ) رواه أحمد.

قال المناوي –رحمه الله– (كُل امرئ في ظل صدقته) يوم القيامة حين تدنو الشمس من الرؤوس «حتى يُقضى» لفظ رواية الحاكم: «حتى يفصل بين الناس» يعني: أن المتصدق يُكفى المخاوف، ويصير في كنفِ الله وسَتره، يقال: أنا في ظل فلان، أي: في داره وحِماه، أو المراد الحقيقة بأن تجسد الصدقة فيصير بها في ظل بخلق الله وإيجاده كما قيل فيه، وفي نظائره المعروفة كذبح الموت ووزن الأعمال (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وكان بعض السلف لا يأتي عليه يوم إلا تصدق ولو ببصلة أو لقمة.

وقال الشيخ ابن عثيمين: ففي هذا الحديث دليل على فضيلة الصدقة، وعلى أنها تكون يوم القيامة ظلًّا لصاحبها، وأنها تكون ظلًّا في جميع يوم القيامة حتى يفصل بين الناس.

فائدة : ٧

أفضل الصدقة : وقت الصحة والقوة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ (أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ فَقَالَ: أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى وَلاَ تُمْهِلْ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ قُلْتَ لِفُلاَنٍ كَذَا وَلِفُلاَنٍ كَذَا أَلاَ وَقَدْ كَانَ لِفُلاَنٍ) متفق عليه.

قال النووي رحمه الله: قَالَ الخطابي: فَمَعْنَى الْحَدِيث أَنَّ الشُّحّ غَالِب فِي حَال الصِّحَّة ، فَإِذَا شَحّ فِيهَا وَتَصَدَّقَ كَانَ أَصْدَقَ فِي نِيَّته وَأَعْظَم لأَجْرِهِ ، بِخِلَافِ مَنْ أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْت وَآيَسَ مِنْ الْحَيَاة وَرَأَى مَصِير الْمَال لِغَيْرِهِ فَإِنَّ صَدَقَته حِينَئِذٍ نَاقِصَة بِالنِّسْبَةِ إِلَى حَالَة الصِّحَّة ، وَالشُّحّ رَجَاء الْبَقَاء وَخَوْف الْفَقْر .. فَلَيْسَ لَهُ فِي وَصِيَّته كَبِير ثَوَاب بِالنِّسْبَةِ إِلَى صَدَقَة الصَّحِيح الشَّحِيح.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وَفِي الْحَدِيث أَنَّ تَنْجِيز وَفَاء الدَّيْن وَالتَّصَدُّق فِي الْحَيَاة وَفِي الصِّحَّة أَفْضَل مِنْهُ بَعْد الْمَوْت وَفِي الْمَرَض ، وَأَشَارَ ﷺ إِلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: " وَأَنْتَ صَحِيح حَرِيص تَأْمُل الْغِنَى الخ " لأَنَّهُ فِي حَال الصِّحَّة يَصْعُب عَلَيْهِ إِخْرَاج الْمَال غَالِبًا لِمَا يُخَوِّفهُ بِهِ الشَّيْطَان وَيُزَيِّن لَهُ مِنْ إِمْكَان طُول الْعُمْر وَالْحَاجَة إِلَى الْمَال كَمَا قَالَ تَعَالَى (الشَّيْطَان يَعِدكُمْ الْفَقْر) الآيَة.

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيّ بِإِسْنَادٍ حَسَن وَصَحَّحَهُ اِبْن حِبَّانَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء مَرْفُوعًا قَالَ: مَثَل الَّذِي يُعْتِق وَيَتَصَدَّق عِنْد مَوْته مِثْل الَّذِي يُهْدِي إِذَا شَبِعَ " ، وَهُوَ يَرْجِع إِلَى مَعْنَى حَدِيث الْبَاب.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ وَصَحَّحَهُ اِبْن حِبَّانَ مِنْ حَدِيث أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيّ مَرْفُوعًا " لأَنْ يَتَصَدَّق الرَّجُل فِي حَيَاته وَصِحَّته بِدِرْهَمٍ خَيْر لَهُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّق عِنْد مَوْته بِمِائَة.

فائدة : ٨

قال السمرقندي: عليك بالصدقة بما قلّ أو كثر، فإن في الصدقة عشر خصال محمودة خمس في الدنيا وخمس في الآخرة.

أما التي في الدنيا:

فأولها: تطهير المال كما قال النبي ﷺ (ألا إن البيع يحضره اللغو والحلف والكذب، فشوبوه بالصدقة).

والثاني: أن فيها تطهير البدن من الذنوب، كما قال الله تعالى (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ...).

والثالث: أن فيها دفع البلاء والأمراض، كما قال النبي ﷺ (داووا مرضاكم بالصدقة).

والرابع: أن فيها إدخال السرور على المساكين، وأفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمنين.

والخامس: أن فيها بركة في المال وسعة في الرزق، كما قال تعالى (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ).

وأما الخمس التي في الآخرة:

فأولها: أن تكون الصدقة ظلاً لصاحبها في شدة الحر.

والثاني: أن فيها خفة الحساب.

والثالث: أنها تثقل الميزان.

والرابع: جواز على الصراط.

والخامس: زيادة الدرجات في الجنة.

فائدة : ٩

الأفضل أن تكون الصدقة سراً .

أ-لحديث أبي هريرة . قال : قال ﷺ (سبعة يظلهم الله في ظله ... ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه).

ب- ولقوله تعالى (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ).

قال السعدي : أي {إن تبدوا الصدقات} فتظهروها وتكون علانية حيث كان القصد بها وجه الله {فنعما هي} أي: فنعم الشيء {هي} لحصول المقصود بها {وإن تخفوها} أي: تسروها {وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم} ففي هذا أن صدقة السر على الفقير أفضل من صدقة العلانية .

قال ابن الجوزي: وإنما فضلت صدقة السر لمعنيين:

أحدهما: يرجع إلى المعطي وهو بُعْدُه عن الرياء، وقربه من الإخلاص، والإعراض عما تؤثر النفس من العلانية.

والثاني: يرجع إلى المعطَى، وهو دفع الذل عنه بإخفاء الحال، لأن في العلانية ينكر.

ثم قال: واتفق العلماء على إخفاء الصدقة النافلة أفضل من إظهارها.

قال السعدي: ... وإن أخفاها وسلمها للفقير كان أفضل، لأن الإخفاء على الفقير إحسان آخر، وأيضاً فإنه يدل على قوة الإخلاص، وأحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله (من تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه).

وقال ابن القيم: ... وأما إيتاؤها الفقراء ففي إخفائها من الفوائد: الستر عليه، وعدم تخجيله بين الناس وإقامته مقام الفضيحة وأن يرى الناس أن يده هي اليد السفلى وأنه لا شيء له فيزهدون في معاملته ومعاوضته، وهذا قدر زائد من الإحسان إليه بمجرد الصدقة مع تضمنه الإخلاص وعدم المراءاة وطلبهم المحمدة من الناس، وكان إخفاؤها للفقير خيراً من إظهارها بين الناس، ومن هذا مدح النبي ﷺ صدقة السر وأثنى على فاعلها وأخبر أنه أحد السبعة الذين هم في ظل عرش الرحمن يوم القيامة ولهذا جعله سبحانه خيرا للمنفق وأخبر أنه يكفر عنه بذلك الإنفاق من سيئاته ولا يخفى عليه سبحانه أعمالكم ولا نياتكم فإنه بما تعملون خبير.

قال ابن كثير: فيه دلالة على إن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها، لأنه أبعد عن الرياء، إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة، من اقتداء الناس به، فيكون أفضل من هذه الحيثية.

فائدة : ١٠

من كلام ابن القيم في فضل الصدقة

قال ابن القيم : فالصدقة لها تأثير عجيب في دفع أنواع البلاء ولو كانت من فاجرٍ أو ظالمٍ، بل من كافر، فإن الله تعالى يدفع بها أنواعاً من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم وأهل الأرض مقرون به لأنهم قد جربوه. (الوابل الصيب)

وقال رحمه الله : الصدقة والإحسان ما أمكنه فإن لذلك تأثيرا عجيبا في دفع البلاء ودفع العين وشر الحاسد ولو لم يكن في هذا إلا تجارب الأمم قديما وحديثا لكفى به . ... فما يكاد العين والحسد والأذى يتسلط على محسن متصدق. (بدائع الفوائد)

وقال رحمه الله: والمتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه وانفسح بها صدره ... ولو لم يكن في الصدقة إلا هذه الفائدة وحدها لكان العبد حقيقاً بالاستكثار منها والمبادرة إليها . (الوابل الصيب)

وقال رحمه الله : وفى الصدقة فوائد ومنافع لا يحصيها الا الله : فمنها انها تقى مصارع السوء – وتدفع البلاء حتى انها لتدفع عن الظالم ، وتطفئ الخطيئة – وتحفظ المال – وتجلب الرزق – وتفرح القلب – وتوجب الثقة بالله وحسن الظن به – وترغم الشيطان – وتزكى النفس وتنميها – وتحبب العبد الى الله والى خلقه – وتستر عليه كل عيب – وتزيد في العمر – وتستجلب أدعية الناس ومحبتهم – وتدفع عن صاحبها عذاب القبر –وتكون عليه ظلا يوم القيامة – وتشفع له عند الله – وتهون عليه شدائد الدنيا والآخرة – وفوائدها ومنافعها أضعاف ذلك . (عدة الصابرين)

فائدة : ١١

وأفضل الصدقة ما صادفت حاجة من المتصدق عليه .

قال ابن القيم : ... وأفضل الصدقة ما صادفت حاجة من المتصدق عليه وكانت دائمة مستمرة ومنه قول النبي أفضل الصدقة سقى الماء وهذا في موضع يقل فيه الماء ويكثر فيه العطش وإلا فسقى الماء على الأنهار والقنى لا يكون أفضل من إطعام الطعام عند الحاجة .

٢ – الحديث دليل على فضل العفو، وأنه من أسباب العزة.

قال ابن الجوزي –رحمه الله–قوله (وما زَادَ اللهُ عبدًا بعفوٍ إلَّا عِزًّا) وذاك؛ لأنَّ العَافِيَ في مَقام الوَاهب والْمُتَصَدِّق، فَيُعَز بذلك .

وقال ابن هبيرة –رحمه الله–قوله: (وما زَادَ اللهُ عبدًا بعفوٍ إلَّا عِزًّا) فإنَّ العَفو عِزٌّ في وقته، وبعد ذلك، فما زَاد به أحدٌ إلا عزًّا، وإذا وَسوس الشيطان للمسلم بأنَّ هذا يُخرِجه الناس مَخرج الذُّلِّ؛ فتلك خديعةٌ منه، فكلام رسول الله ﷺ دواءٌ لذلك الداء.

وقال الصنعاني –رحمه الله–وفي قوله (وما زَادَ اللهُ عبدًا بعفوٍ إلَّا عِزًّا) حَثٌّ على العَفو عن المسيءِ، وعَدم مُجازاته على إساءته وإنْ كانت جائزةٌ، قال تعالى (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) .

وفيه: أنَّه يَجعل الله تعالى للعافي عِزًّا وعَظمةً في القلوب؛ لأنه بالانتصاف يَظُنُّ أنَّه يَعظُم ويُصان جانبه، ويُهاب، ويَظُنُّ أنَّ الإغْضَاء والعَفو لا يَحصل به ذلك، فأخبر رسول الله ﷺ بأنه يَزداد بالعفو عزًّا.

٣ – وللعفو فضائل وثمرات:

أولاً: أن فيه استجابة لأمر الله تعالى وطاعة لله ورسوله.

قال تعالى (فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ).

وقال تعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ).

وقال تعالى (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

ثانياً: وهو يورث العز في الدنيا والآخرة.

كما في حديث الباب (وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً).

ثالثاً: وهو يورث محبة الله عزوجل.

قال تعالى (الذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

رابعاً: يجلب الأجر الجزيل من الله تعالى.

قال تعالى (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ).

قال السعدي: وفي جعل أجر العافي على الله ما يهيج على العفو، وأن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به، فكما يحب أن يعفو الله عنه، فَلْيَعْفُ عنهم، وكما يحب أن يسامحه الله، فليسامحهم، فإن الجزاء من جنس العمل.

خامساً: يوجب عفو الله عن العبد يوم القيامة.

ففي الحديث (كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا فلقي الله فتجاوز عنه) متفق عليه.

سادساً: وهو من صفات الرسول ﷺ .

كما قال عبد الله بن عمرو: إني أرى صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة (أنه ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح) رواه البخاري.

سابعاً: سبب لمغفرة الذنوب.

قال تعالى (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

ثامناً: من صفات المتقين.

قال تعالى (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

قال النووي: من عرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب وزاد عزة وكرامة.

وقال ابن تيمية: ما انتقم أحد قط لنفسه إلا أورثه ذلك ذلاً يجده في نفسه، فإذا عفا أعزه الله مصداقاً لقول النبي ﷺ: وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً.

وعن أيوب قال: لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عنهم.

وهذا زين العابدين بن علي رضي الله عنه أتت جاريته تصب الماء عليه فسقط الإبريق من يدها على وجهه فشجه فقالت: والكاظمين الغيظ فقال: كظمت غيظي، قالت: والعافين عن الناس قال: عفوت عنك، قالت: والله يحب المحسنين، قال: أنت حرة لوجه الله.

قال الحسن: كانوا يقولون أفضل أخلاق المؤمن العفو.

قال ابن حبان: الواجب على العاقل توطين النفس على لزوم العفو عن الناس كافة، وترك الخروج لمجازاة الإساءة! إذ لا سبب لتسكين الإساءة أحسنُ من الإحسان، ولا سبب لنماءِ الإساءة وتهييجها أشدُّ من الاستعمال بمثلها.

وقال عمر بن عبد العزيز: أحب الأمور إلى الله ثلاثة: العفو في القدرة، والقصد في الجدة، والرفق في العبادة، وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة.

وراحت النفس في العفو: فقد قال أحد الشعراء:

لما عفوت، ولم أحقد على أحدٍ ... أرحت قلبي من غم العداوات

إني أحي عدوي عند رؤيته ... لأدفع الشر عني بالتحيات

وأظهر البشر للإنسان أبغضه ... كأنما قد حشى قلبي محبات

٤-أعظم سبب يقود للعفو عن الناس، ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته النفيسة (قاعدة في الصبر) الأسباب التي تُعين المسلم على الصبر على أذى الناس قال: الثالث: أنْ يَشْهَدَ العبدُ حُسْنَ الثواب الذي وعده الله لمن عفى وصبر، كما قال تعالى: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ).

٥ - الحديث دليل على فضل التواضع وأنه من أسباب الرفعة.

قال النووي: قوله ﷺ (وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) فيه وجهان:

أحدهما: يرفعه في الدنيا ، ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة ، ويرفعه الله عند الناس ، ويجل مكانه.

والثاني: أن المراد ثوابه في الآخرة ، ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا.

قال العلماء: وقد يكون المراد الوجهين معا في جميعها في الدنيا والآخرة، والله أعلم. (شرح نووي).

وقال ابن الجوزي -رحمه الله-وقوله (وما تواضع أحدٌ لله إلَّا رفعهُ اللهُ) أي: رَفَعَ قَدْرَه في القُلوب؛ لإخلاصه في التواضع.

وقال الصنعاني -رحمه الله-وفي قوله (وما تواضعَ أحدٌ للهِ) أَي: لأجل ما أعدَّه الله للمتواضعين، «إلَّا رَفَعَهُ اللهُ»: دليلٌ على أنَّ التواضع سبب للرِّفعةِ في الدَّارين لإطلاقه.

وفي الحديثِ حثٌّ على الصَّدقة، وعلى العفو، وعلى التواضع، وهذه من أمهات مكارم الأخلاق.

وقال السعدي -رحمه الله- (وما تواضعَ أحدٌ للهِ) تَنبيهٌ على حسنِ القَصد والإخلاص لله في تواضعه؛ لأن كثيرًا من النَّاس قد يُظهِر التواضع للأغنياء ليُصيب من دنياهم، أو للرؤساء لينال بسببهم مَطلوبه، وقد يُظهر التواضع رياءً وسُمعةً، وكل هذه أغراض فاسدةٌ، لا ينفع العبد إلا التواضع لله تقربًا إليه، وطلبًا لثوابه، وإحسانًا إلى الخلق؛ فَكمال الإحسان وروحه: الإخلاص لله.

٦ - وللتواضع فضائل:

فهو سبب للرفعة.

لقوله ﷺ (من تواضع لله رفعه الله).

وهو من صفات عباد الرحمن.

قال تعالى (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا).

قال ابن كثير: هذه صفات عباد الله المؤمنين (الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا) أي: بسكينة ووقار من غير جَبَرية ولا استكبار، كما قال (وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا). فأما هؤلاء فإنهم يمشون من غير استكبار ولا مرح، ولا أشر ولا بطر.

قال السعدي: فوصفهم بأنهم (يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا) أي: ساكنين متواضعين لله والخلق فهذا وصف لهم بالوقار والسكينة والتواضع لله ولعباده.

ويورث المحبة.

قيل: التواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الراحة.

قال ابن حبان: ... والتواضع يكسب السلامة، ويورث الألفة، ويرفع الحقد، ويذهب الصد، وثمرة التواضع المحبة، كما أن ثمرة القناعة الراحة، وإن تواضع الشريف يزيد في شرفه، كما أن تكبر الوضيع يزيد في ضعته.

والتواضع من أخلاق الأنبياء وشِيَم النبلاء.

فهذا موسى عليه السلام رفع الحجرَ لامرأتين أبوهما شيخٌ كبير.

وداود عليه السلام كان يأكل من كَسب يده.

وزكريّا عليه السلام كان نجّارًا.

وعيسى عليه السلام يقول (وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا).

وما مِن نبيّ إلاّ ورعى الغنم، ونبيّنا ﷺ .

والتواضعُ سبَب العدلِ والأُلفة والمحبّة في المجتمع.

عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ (إِنَّ اَللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

٧-من أقوال العلماء :

قال الشافعي: لا يطلب هذا العلم أحد بالملك وعزة النفس فيفلح لكن من طلبه بذل النفس وضيق العيش وخدمة العلم وتواضع النفس أفلح.

وقال عبد الله بن المعتز: المتواضع في طلب العلم أكثرهم علماً كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء.

وقال إبراهيم بن شيبان: الشَّرف في التَّواضُع، والعزُّ في التَّقوى، والحرّية في القناعة

قال أبو بكر ﷺ: "وجدنا الكرم في التقوى، والغنى في اليقين، والشرف في التواضع

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: "إنكم لمغفلون، أفضل العبادة: التواضع.

تواضع تكن كالنجم لاح لناظرٍ *** على صفحات الماء وهو رفيعُ

ولا تك كالدخان يعلو بنفسه *** إلى طبقات الجو وهو وضيعُ

قال ابن الحاج رحمه الله: من أراد الرفعة فليتواضع لله تعالى؛ فإن العزة لا تقع إلا بقدرِ النزولِ، ألا ترى أن الماءَ لما نزلَ إلى أصلِ الشجرةِ صعدَ إلى أعلاها فكأن سائلاً سأله: ما صعدَ بِكَ هنا –أعني في رأس الشجرة– وأنت تحت أصلها؟ فكأن لسان حاله يقول: من تواضع لله رفعه.

قال عروة بن الورد: التواضع أحد مصائد الشرف، وكل نعمة محسود عليها إلا التواضع.

قال بعض الحكماء: إذا نسك الشريف تواضع، وإذا نسك الوضيع تكبّر.

وقال عامر بن عبد الله: من تواضع تخشعاً رفعه الله ومن تكبر تعظماً وضعه الله.

قال بعض الحكماء: البلية التي لا يؤجر عليها المبتلى بها: العجب، والنعمة التي لا يحسد عليها: التواضع.

وقال الذهبي في السير وإيثار الخمول والتواضع، وكثرة الوجل من علامات التقوى والفلاح.

تواضع إذا ما نلت في الناس رفعة ---- فإن رفيعَ القوم من يتواضع.

٦ – **قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي** –رحمه الله–هذا الحديث: احتوى على فضل الصَّدقة، والعَفو والتَّواضع، وبيان ثمراتها العاجلة والآجلة، وأنَّ كل ما يَتَوهَّمه الْمُتَوهِّم من نقص الصدقة للمال، ومنافاة العفو للعِزّ، والتواضع للرفعة، وهْمٌ غالط، وظنٌّ كاذب، فالصَّدقة لا تُنقِص المال؛ لأنه لو فُرِض أنَّه نَقصَ من جهة، فقد زاد من جهاتٍ أُخَر؛ فإن الصدقة تُبارِكُ المال، وتَدفع عنه الآفات وتُنَمِّيْه، وتفتح للمتصدِّق من أبواب الرزق، وأسباب الزِّيادة أمورًا ما تُفْتَح على غيره، فهل يقابل ذلك النَّقص بعض هذه الثمرات الجليلة؟

وهذه الثلاث المذكورات في هذا الحديث: مُقدمات صفات المحسنين، فهذا محسنٌ في ماله، ودفع حاجة المحتاجين، وهذا محسنٌ بالعفو عن جنايات المسيئين، وهذا محسنٌ إليهم بحلمه وتواضعه، وحسن خُلُقه مع الناس أجمعين. وهؤلاء قد وَسِعوا النَّاس بأخلاقهم وإحسانهم، ورفعهم الله، فصار لهم المحل الأشرف بين العباد، مع ما يَدَّخر الله لهم من الثواب .

٤٠٠–عن عِيَاضِ بنِ حمارٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ (إنَّ اللهَ أوْحَى إلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أحَدٌ عَلَى أحَدٍ، وَلاَ يَبْغِي أحَدٌ عَلَى أحَدٍ) .

==========

(**حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أحَدٌ عَلَى أحَدٍ**) أي : كي لا يتعاظم أحد على أحد .

(**وَلاَ يَبْغِي أحَدٌ عَلَى أحَدٍ**) أي : لا يظلم أحد على أحد .

١–الحديث دليل على فضل التواضع . (وقد تقدمت فضائل التواضع)

والتَّواضعُ: هو رِضا الإنسانِ بمَنزِلةٍ دونَ ما يَستَحِقُّها مُحتَسِبًا الأجرَ في ذلك عندَ اللهِ تعالى، وقدْ جاء عندَ مُسلمٍ: «وما تَواضَعَ أحَدٌ للهِ إلَّا رَفَعَه اللهُ»، ومِن دَواعي التَّواضعِ أنَّه يَمنَعُ صاحبَه مِن الفخرِ والكِبرِ على غيرِه؛ لا في نسَبٍ ولا مالٍ أو غيرِ ذلكَ، وأيضًا فإنَّ خُلقَ التَّواضعِ يَمنَعُ صاحبَه أنْ يَظلِمَ غيْرَه.

قال ابن تيمية : فنهى سبحانه على لسان رسوله عن نوعي الاستطالة على الخلق ، وهي : الفخر والبغي ؛ لأن المستطيل إن استطال بحق فقد افتخر ، وإن كان بغير حق فقد بغى ، فلا يحل لا هذا ولا هذا . (الاقتضاء)

وقال رحمه الله : فبيّن أن التواضع المأمور به ضد البغي والفخر .

قال المناوي : (إن الله تعالى أوحى إلي) وحي إرسال وزعم أنه وحي إلهام خلاف الأصل والظاهر بلا دليل والوحي إعلام في خفاء (أن) أي بأن (تواضعوا) بخفض الجناح ولين الجانب وأن مفسرة (حتى لا يفخر أحد) منكم (على أحد) بتعدد محاسنه كبرا ورفع قدر نفسه على الناس تيها وعجباً ، قال ابن القيم: والتواضع انكسار القلب لله وخفض جناح الذل والرحمة للخلق حتى لا يرى له على أحد فضلا ولا يرى له عند أحد حقا بل والحق له. والفخر ادعاء العظم . (فيض القدير)

قال في مرقاة المفاتيح : وَفِي الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا إِشْعَارٌ بِأَنَّ الْفَخْرَ وَالْبَغْيَ نَتِيجَتَا الْكِبْرِ ; لِأَنَّ الْمُتَكَبِّرَ هُوَ الَّذِي يَرْفَعُ نَفْسَهُ فَوْقَ كُلِّ أَحَدٍ وَلَا يَنْقَادُ لِأَحَدٍ .

قال القرطبي : قال الله (واستوت على الجوديّ) لما تواضع الجودي وخضع عزّ، ولما ارتفع غيره واستعلى ذل، وهذه سنة الله في خلقه يرفع من يخشع، ويضع من ترفّع .

قال ابن القيم : من أساء إليك؛ ثم جاء ليعتذر، فإن التواضع يوجب عليك قبول معذرته، وتكِلّ سريرتهُ إلى الله تعالى .

٢-النهي عن البغي والفخر.

٣-التواضع سبب لرفعة المقام .